الباب الثالث

منهجه في تأليف العقيدة

٣،١ تمهيد

٣،٢ ابن تيمية مع الأشاعرة

٣،٣ ابن تيمية مع الفلاسفة

٣،٤ ابن تيمية مع الشيعة

٣،١ تمهيد

إن شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) كان صاحب منهج واضح ومحدّد سار فيه على وَتيرة واحدة في جميع كتبه لم تتغير طريقته و لم تتناقض أقواله مع كثرة كتبه وطولها وتشعّب مسائلها كما أن قناعته بمذهب السلف وأن الحق كل الحق فيه وأن ماعداه من الآراء والاقوال المبتدعة إما ضلالٌ أو انحرافٌ ، أو في أن مذهب السلف ما يغني عنه تمام الغنى لم تتغير أو تضعف ولذلك كانت هناك أهمية خاصة لما كتبه في بيان عقيدة السلف والمنهج الصحيح في تقريرها ، ويأتي هذا الباب لتوضيح منهج ابن تيمية في العقيدة من خلال ثلاثة مباحث .

الأول : ابن تيمية مع المتكلمين : وقد احتوى هذا المبحث على بيان منهج ابن تيمية في تقرير عقيدة السلف والرّد على خصومها وقد شمل ذلك البحث منهجه في المعرفة والاستدلال وبيان العقيدة والاستدلال لها والرد على الخصوم وفي منهج ابن تيمية العام في الرد على الاشاعرة وفيه عرض للقضايا العامة التى ناقش فيها شيخ الإسلام الاشاعرة في الأسماء والصفات التى تتعلق بأسماء الله والصفات التى أثبتها الاشاعرة والصفات التى نفوها وكيف ردّ عليهم شيخ الإسلام طويلا وخاصة في المسائل الكبرى كمسألة العلو والأستواء والصفات الفعلية كالنزول والمجيء وغيرها وناقش هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق وفي إثبات الوحدانية والتوحيد والتنزيه .

الثاني : ابن تيمية مع الفلاسفة : وقد حوى هذا المبحث مناقشة ابن تيمية الذين يصفون قدم العالم بما يجعله عدما أو صورة ليس لها وجود إلاّ في الذهن ومناقشته في علم المنطق حيث أن الفلاسفة هم وحدهم يزعمون أنهم أرباب المنطق والعقل والحكمة وأنهم آلهة الفكر المقدسون وفي مسألة الآلهيات والأدلة الكثيرة التى ساقها في الرد عليهم .

الثالث : ابن تيمية مع الشيعة : وتضمن هذا المبحث زعم الشيعة الباطلة على أحقية سيدنا علي ﷺ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وناقش ابن تيمية هذه المسألة وغيرها مناقشة فعّالة مع بيان الأدلة على ذلك .

٣،٢ ابن تيمية مع الأشاعرة

٣،٢،١ في آيات الصفات وأحاديثها

وأعلم أن أنفع العلوم علم التوحيد ومنه علم الأسماء والصفات وذلك لأن شرف العلم بشرف المعلوم والباري سبحانه وتعالى أشرف المعلومات فالعلم بأسمائه وصفاته أشرف العلوم لذا فمسألة الصفات من مسائل العقيدة الكبرى التي كانت مثار جدل بين من يسير علي نهج الإثبات والتفويض دون الخوض في تفاصيل معانيها وبين من يسير علي نهج التأويل وقبل أن نشرع في بيان معتقدي الفريقين نُورد إجمالًا لصفات الباري سبحانه وتعالى التي ثبتت بالكتاب والسنة .

١- الأولية : صفة ذاتية لله عزوجل ، ومعناه ليس قبله شيء ، الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا ((أللهم أنت الأول فليس قبلك شيء)) (رواه مسلم رقم ٢٧١٣)

٢- الإتيان والمجئ : الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ومن السنة حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الرؤية ((قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي روأه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم)) (رواه البخاري رقم ٧٤٣٩)

٣- الأخذ : الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا ((وما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ...)) (رواه مسلم رقم ١٠١٤)

٤- الإرادة : الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] ومن السنة حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول

الله ﷺ يقول ((إذا **أراد** الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا علي أعمالهم)) (رواه مسلم رقم ٢٨٧٩)

٥- الأستواء علي العرش : الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ﴿ ثم اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ قال : أن النبي ﷺ أخذ بيده فقال : ((يا أبا هريرة إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى علي العرش ...)) (ناصر الدين الألباني ,دت:/ ٧١)

٦- الأصابع : وهي من صفات الله عز وجل الذاتية الخبرية الثابتة في السنة الصحيحة , وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ...)) رواه مسلم رقم ٢٦٥٤)

٧- البصر : الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ومن السنة حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ((ياأيها الناس أربعوا علي أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)) (رواه البخاري رقم ٦٣٨٤)

٨- البغض : ثبت في حديث أبي هريرة ﷺ ((أحب البلاد إلي الله مساجدها وأبغض البلاد إلي الله أسواقها)) (رواه مسلم رقم ٦٧١)

٩- البقاء : قوله تعالي ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧]

١٠- القريب : الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ ((من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرّب مني ذراعا تقربتُ منه باعا ...)) (رواه البخاري رقم ٧٤٠٥)

١١- الجبروت : الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٣] ومن الـ نة حديث عوف بن مالك ﷺ قال : قمت مع رسول الله ﷺ

ليلة فلما ركع مكث قدر سورة البقرة يقول في ركوعه ((سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة)) (رواه النسائي رقم ١٠٠٤)

١٢- الحب : من صفات الله عز وجل الفعلية الأختيارية الثابتة من الكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] ومن السنة حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال رسول الله ﷺ : ((إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)) (رواه مسلم رقم ٢٩٦٥)

١٣- الحياة : صفة من صفات الله عزوجل الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ اللّهُ لا إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما : ((أللهم لك أسلمت وبك أمنت ... أنت الحي الذي لايموت والجن والأنس يموتون)) (رواه مسلم رقم ٢٧١٧)

١٤- الرجل والقدمان : صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عزوجل بصحيح السنة وهو : حديث أبي هريرة ﷺ في تحاجج الجنة والنار وفيه قال الرسول ﷺ : ((فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله (وعند مسلم قدمه) فتقول : قط قط ...)) (رواه البخاري رقم ٤٨٥٠ ومسلم رقم ٢٨٤٦)

١٥- الساق : صفة من صفات الذات الخبرية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة ، ومن الكتاب قوله تعال ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم : ٤٢] ومن السنة حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : ((فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن)) (رواه البخاري رقم ٧٤٣٩)

١٦- السمع : صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١] ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة وقولها : ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات)) (رواه البخاري رقم ٣٧٢)

١٧- الضحك : صفة من صفات الله عز وجل الفعلية الخبرية الثابتة بالأحاديث الصحيحة ، منها حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : ((يضحك الله إلي رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة)) (رواه البخاري رقم ٢٨٢٦)

١٨- العلم : صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] ومن السنة حديث الاستخارة ((أللهم إني أستخيرك بعلمك ...)) (رواه البخاري رقم ٦٣٨٢)

١٩- العلو والفوقية : صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] ومن السنة حديث أين الله ؟ قالت : في السماء قال : من أنا قالت : أنت رسول الله ﷺ قال : أعتقها فإنها مؤمنة)) (رواه مسلم رقم ٥٣٧ وأحمد رقم ٤٤٧)

٢٠- العين : صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] ومن السنة حديث أنس ﷺ : ((أن الله لايخفى عليكم إن الله ليس بأعور – وأشار إلي عينيه – وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية)) (رواه البخاري رقم ٧٤٠٧)

٢١- الغضب : صفة فعلية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور : ٩] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ ((إن رحمتى غلبت غضبي)) (رواه البخارى رقم ٣١٩٤)

٢٢- القبض : صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ ((يقبض الله تبارك وتعالي الأرض يوم القيامة ...) (رواه البخاري رقم ٧٣٨٢)

٢٣- القدرة : صفة ذاتية ثابتة لله عزوجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ إِنَّ اللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٠] ومن السنة حديث عثمان بن أبي العاص ﷺ ((أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)) (رواه مسلم رقم ٢٢٠٢)

٢٤- الكلام : الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ومن السنة حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ((إن الله تبارك وتعالي يقول لأهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك فيقول : هل رضيتم ؟ ...)) (رواه البخاري رقم ٧٥١٨)

٢٥- المعية : وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ومن السنة الحديث القدسي ((أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني)) (رواه البخاري رقم ٧٤٠٥)

٢٦- النزول : صفة فعلية ثابتة لله عزوجل بالسنة الصحيحة المتواترة ، الدليل : حديث أبي هريرة ﷺ ((ينزل ربنا إلي السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير ...)) (رواه البخاري رقم ٧٤٩٤)

٢٧- النظر : صفة فعلية ثابتة لله عزوجل بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ٧٧] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ ((إن الله لاينظر إلي أجسامكم ولا إلي صوركم ولكن ينظر إلي قلوبكم وأعمالكم)) (رواه مسلم رقم ٢٥٦٤)

٢٨- اليدان : صفة ذاتية خبرية لله عزوجل ثابتة بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ((مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (ص : ٧٥) ومن السنة حديث أبي موسي الأشعري ﷺ ((إن الله تعالي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط **يده** بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)) (رواه مسلم رقم ٢٧٦٠)

٢٩- اليمين : توصف يد الله عزوجل بأنها يمين وهذا ثابت بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ ((يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ...) (رواه البخاري رقم ٧٤١٩)

٣٠- الوجه : صفة ذاتية خبرية لله عزوجل ثابتة بالكتاب والسنة ، الدليل من الكتاب قوله تعالي ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ومن السنة

حديث ابن مسعود ﷺ: لما قسّم النبي ﷺ الغنائم يوم حنين وقال رجل : والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ...) (رواه البخاري رقم ٣١٥٠) هذا وقد أوردت جملة من الصفات لا علي سبيل الإحصاء والحصر .

١) الصفات المعاني السبع :

فأجمع الأشاعرة – متقدمهم ومتأخرهم – علي إثبات الصفات السبع العقلية وهي : القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وهي تنقسم إلى أربعة أقسام : قسم يتعلق بالممكنات فقط وهو صفة القدرة والإرادة وقسم يتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات وهو : العلم والكلام وقسم يتعلق بجميع الموجودات وهو : السمع والبصر وقسم لا يتعلق بشيء وهو : الحياة (إبراهيم البيجوري ،دت:/ ٤٤)

٢) الصفات الخبرية :

وأختلفت أقوال الأشاعرة في الصفات الخبرية : كالوجه واليدين والعين واليمين والقبضة والساق والقدم والأصابع وغيرها (ابن القيم ، دت :١ / ٢٢٠- ٢٢٣)

أ – فمتقدمهم يثبتونها في الجملة فالوجه واليدان والعين يُثبتها الإمام ابو الحسن الأشعري والباقلاني [١] وابن فورك [٢] والبيهقي [٣] وغيرهم من العلماء أما صفة اليمين والقبضة والقدم والأصابع فأغلب هؤلاء يتأولونها كأبي الحسن الطبري [٤] تلميذ الأشعري الذي قال أيضا : إن الله رأ بلا عين وكأبن فورك والبيهقي ولذلك قيل إن متقدمي الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية في الجملة (ابن تيمية ، دت: ١ / ٣١٤ – ٣١٥)

لأن إثباتهم لها مقتصر علي بعض الصفات القرآنية وهي : الوجه واليدان

---

(١) أبو بكر محمد الطيب بن محمد إبن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني توفي سنة ٤٠٣ هـ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأنصاري الأصبهاني توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) أحمد بن الحسين بن علي بن موسي الخسروجردى البيهقي توفي سنة ٤٥٨ هـ .

(٤) أبو الحسن الطبري توفي سنة ٣٨٠ هـ .

والعين علي أن إثبات بعضهم لها من باب التفويض .

ب – أما متأخرهم فيتأولون هذه الصفات الخبرية كاالبغدادي [1] والجويني [2] ومن جاء بعدهم وهو الذي أستقر عليه المذهب الأشعري (البغدادي ,دت : ١١١ – ١١٢ – ١١٣)

وإن كان المتأخرون صاروا يحكُون القولين في مذهبهم : التأويل وهو الذي يرجحُونه والإثبات لكن بشرط التفويض ولذلك صار متأخروهم يثبتون بعض الصفات – صفات معاني السبع – وينفون بعض الصفات – صفات خبرية – باللُجوء إلي التأويل أو التفويض لإن إثبات تلك الصفات تُؤدي إلي التركيب والتجسيم والتشبيه (ابن تيمية ،دت: ٤ / ١٩٧)

٣) صفة العلو والإستواء :

أما صفة العلو والأستواء فمثل الصفات الخبرية فمتقدمهم يثبتونها كالأشعري والباقلاني ولكن أبو الحسن الأشعري يثبته وَيُبَيّن دلالته علي صفة العُلُو لله تعالي ويمنع تأويله بالاستيلاء ولكنه من جانب آخر لا يجعله من الصفات الأختيارية لله تعالي لأنه ينفي هذه الصفات عن الله تعالي ولذلك يُفسر الأستواء بأنه فعل فعله الله تعالي بالعرش سماه استوى (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ / ١٠٢٩ – ١٠٣٠)

فيجعله كخلقه للسماء والأرض ليكون من باب المفعول المنفصل عنه لا من باب الأفعال التي تقوم به الحوادث ، وأهل السنة لايفرقون بين الأمرين – بين فعله اللازم والمتعدي – كلاهما يقوم بالله تعالي منه فعل كما يليق بجلال الله تعالي .

أما متأخروهم فيأولونها كأبن فورك وله قول آخر بأثباتها والبغدادي والبيهقي والجويني الذي صَرّحَ بنفي العلو وتأويل الأستواء بالإستيلاء (محمد الموصلى ١٤٠٥ : ٣٠٦)

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني توفي سنة ٤٧٨ هـ .

(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله أبو منصور البغدادي التميمي المتوفي سنة ٤٢٩ هـ .

قال الإمام السبكي: وأما كون المراد استولى فأمر جائز الإرادة لا واجبها إذ لا دليل عليه وإذا خيف علي العامة عدم فهم الأستواء إذا لم يكن بمعنى الأستيلاء إلاّ بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلي الأستيلاء فإنه قد ثبت إطلاقه عليه لغة (محمود محمد خطاب السبكى ١٣٩٤ : ٤٤)

أما المعتزلة فيثبتون الأسماء وينفون الصفات ولكن إثبات هؤلاء للأسماء لايفيدهم شيئا لأنهم يقولون إما أنها أعلام محضة لا تدل علي صفات أويقولون عليم بلا علم وقدير بلاقدرة (ابن تيمية ،دت: ٤ / ١٠)

وأما الجهمية [١] فينفون الأسماء والصفات جميعا ويوافقهم علي هذا كثير من الباطنية [٢] وغيرهم الذين يصفونها بالسلوب والإضافات فقط .

وأما المشبّهة [٣] فيثبتون الصفات ولكنهم يجعلونها من جنس صفات المخلوقين فيشبهون الله تعالي بخلقه فيقولون : أن معبودهم جالس علي العرش تعالي الله عما يصفه المشبهون وهذا الأعتقاد باطل بالعقل والنقل من وجوه :

أولها : أنه سبحانه وتعالي كان ولا عرش ولامكان ولمّا خلق الخلق لم يحتج إلي مكان بل كان غنيا عنه فهو بالصفة التي لم يزل عليها .

وثانيها : أن الجالس على العرش لابد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفا مركبا وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف والمركب وذلك محال .

وثالثها : أن الجالس علي العرش إما أن يكون متمكنا من الإنتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدثا لا محالة

---

(١) هم أتباع جهم بن صفوان : هو أبومحرز جهم بن صفوان الراسبي قال عنه الذهبي : الضال المبتدع رأس الجهمية ، وكان تلميذا للجعد بن درهم الذنديق الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن (البغدادي,دت: ٢٢)

(٢) وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا مذهب الباطنية : ميمون بن ديصان (البغدادي،دت: ٢٢٣)

(٣) المشبهة صنفان : صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره وصنف شبهواصفاته بصفات غيره وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة (البغدادي،دت: ٢٢٥)

وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كان كالزمن بل أسوأ حالا منه فإن الزمن إذا شاء الحركة برأسه أمكنه ذلك وهو غير ممكن علي معبودهم .

ورابعها: أن معبودهم إما أن يحصل في كل مكان أو في مكان دون مكان فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجسات والقاذورات وإن حصل في مكان دون مكان افتقر إلى مخصص يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجا وهو علي الله محال (محمود محمد خطاب السبكي ١٣٩٤ : ٤١ – ٤٢)

وأما من يتوقف فيها فإما أنهم يقولون يجوز أن يكون المراد بالصفات ما يليق بالله تعالي أو أمور أخرى وإما أنهم لايبحثون ذلك مطلقا بل يقتصرون علي تلاوة القرآن وقرأة الحديث (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ / ١٠٣١)

وأما الغُلاة من الجهمية فينفون منه تعالي إتصافه بالنقيضين حتى يقولون : إن أثبتنا الصفات شبهنا بالموجودات وإن نفيناها شبّهنا بالمعدومات ولذا والأولى سلب النقيضين عنه تعالي (ابن تيمية ، دت :٤ / ٧٦)

فيقال : لا موجود ولامعدوم ولاحي ولا ميت وبعضهم يقول : لا موجود وليس بموجود ولا معدوم ولا ليس بمعدوم وهكذا (ابن تيمية ١٤٠٥ : / ١٥٤)

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فهو كالسلف الصالح (رضي الله عنهم) فيثبت ما أثبته الله تعالي لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله في أحاديثه من غير تمثيل ومن غير تشبيه ومن غير تكييف ولاتحريف ولا تأويل ولا تعطيل فهو يثبت الصفات علي وجه يليق به تعالي مع نفي المماثلة (ابن تيمية ، دت: ٤ / ٦)

واستدل بقوله تعالي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى :١١] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣]

وحاصله أن مذهب السلف القطع بأن الله تعالى مترّهٌ عن المكان والجهة وترك التأويل في الآية ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٤]

وتفويض علم معناها إليه عزوجل بأن نعتقد أنه تعالي استوى علي العرش استواء يليق به لا يعلمه إلاّ هو سبحانه وتعالي مع الجزم بأنه تعالي ليس حالاً في العرش ولا جالسا عليه ولا متصلا به ولا جهة له جلّ وعلا .

٤) صفتا الأتيان والمجئ :

أختلف بين أصحاب التأويل والتفويض في صفة إتيان الرب تبارك وتعالي الذي ذكره في قوله تعالي ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] وقوله تعالي﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّك ﴾ [الأنعام : ١٥٨] وقوله ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢]

يقول أصحاب التفويض : لاصفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عزوجل من المجئ والأتيان والنزول وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله أو من رسول مرسل ، فأما القول في صفات الله وأسمائه فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلاّ بما ذكرنا (الإمام الطبري , دت : ١٩١)

وقال أبو الحسن الأشعري : وأجمعوا علي أنه عزوجل يجئ يوم القيامة والملك صفا صفا (أبو الحسن الأشعري ، دت: ٢٢٧)

وقال الشيخ محمد خليل هراس مُعلقاً علي كلام شيخ الأسلام ابن تيمية (رحمه الله) في الآيات السابقة بقوله : في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل وهما صفتا الأتيان والمجئ والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك علي حقيقته والأبتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحادٌ وتعطيل (محمد خليل هراس ١٤٠٤ : ١١٢)

وعلي ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة منهم : مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وإسحاق وأحمد فإنهم يقولون : فيه وفي أمثاله أمّرُوها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة : كل ما وصف الله تعالي به نفسه في كتابه فتفسيره قرأته والسكوت عليه ليس لإحد أن يفسره إلّا الله تعالي ورسوله (محمود محمد خطاب السبكي ١٣٩٤ : ١٨٠)

أما أصحاب التأويل فيتأولون ماورد من ذلك في حق الله تعالي وعلتهم علي ذلك : لأن الإتيان والمجئ من صفات الحوادث فإن كل ما يصح عليه الانتقال والمجئ من مكان إلي مكان يكون محدود متناه محدث تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا ففي قوله تعالي ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]

قال الإمام فخر الدين الرازي : إعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة علي الله تعالي محال لأن كل ما كان كذلك كان جسما والجسم يستحيل أن يكون أزليا فلابد من التأويل وهو : أن هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف عليه مقامه منها : وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة أو وجاء قهر ربك أو وجاء جلائل آيات ربك لأن هذا يكون يوم القيامة وفي ذلك اليوم تظهر العظائم وجلائل الآيات فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لشأن تلك الآيات أو وجاء ظهور ربك (الإمام فخر الدين الرازي ,دت : ٤٢٨)

وقال العلامة إسماعيل حقي : في تفسير قوله تعالي ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره (إسماعيل حقي ، دت : ٦٩٢)

قلتُ لكن الأولى في هذه الآية وفيما شاكلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ويكّل علمها إلي الله تعالي ويعتقد أن الله عزّ اسمه مُنَزّهٌ عن سِمّات الحوادث والله أعلم .

٥) صفة الأصابع :

ثبت في حديث عبد الله بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: ((جاء رجل إلي النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع ...)) (رواه : البخاري رقم ٧٤١٥)

والحديث من أحاديث الصفات ويكون فيه المذهبان المتقدمان إما الإمساك عن التأويل والإيمان به علي مايليق بالله ويصرف علمه الى الله تعالى ، والذي نهج هذا المذهب الإمام ابن خزيمة [1] يقول : باب إثبات الأصابع لله عزوجل وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك (ابن خزيمة ،دت: ١ / ١٨٧)

يقول : باب إثبات الأصابع لله عزوجل وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك (ابن خزيمة ،دت: ١ / ١٨٧)

---

(١) هو : محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر أبو بكر السلمي النيسابوري ولد سنة ٢٣٢ بنيسابور ونشأ بها وتوفي سنة ٣١١ .

وقال أبو بكر الآجري [1] : باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرب عزوجل بلا كيف (أبو بكر الآجري ،دت: ٣١٦)

وقال البغوي [2] : والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عزوجل وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل من صفات الله تعالي :كالنفس والوجه والعين واليد والرجل والإتيان والمجئ والنزول إلي السماء الدنيا والأستواء علي العرش والضحك والفرح (الإمام البغوي ،دت: ١ / ١٦٨)

وإما التأويل فعلى قول المتأولين يقول الإمام الكبير أبو عبد الله الآبي[3] : الأصبع كناية عن كمال الأقتدار في خلقها علي عظمها بلا تعب والناس يذكرون الأصابع في مثل هذا للمبالغة والأحتقار فيقول أحدهم : بأصبعى أقتل فلانا أى لأكلفه علي في قتله , أو أن تكون الأصبع اسما لبعض مخلوقاته أو أصبعا لبعض مخلوقاته والقدرة صالحة للجميع (أبو عبد الله الآبي ، دت : ١٩٠)

وحكى الامام النواوى (رحمه الله) قول المتأولين بقوله : الأصابع هنا – أى في الحديث – هو الأقتدار أى خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل والناس يذكرون الأصبع في مثل هذا للمبالغة والأحتقار فيقول : أحدهم بأصبعي أقتل زيدا أى لأ كلفه علي قتله وقيل يحتمل أن المراد أصابع بعض مخلوقاته وهذا غير ممتنع والمقصود أن أصابع الجارحة مستحيلة (الإمام النواوى ،دت: ٢٤٦)

وحاصله أن إمام النواوى نفسه بعد أن حكى مذهب المتأولين نرى أنه يميل إلي التفويض حيث قال : والله أعلم بمراد نبيه ﷺ فيما ورد في هذه الآحاديث من مشكل ونحن نؤمن بالله تعالى وصفاته ولا نشبه شيئا به ولا نشبهه بشيء وما قاله رسوله الله ﷺ وثبت عنه فهو حق وصدق فما أدركنا علمه فبفضل الله تعالى وما خفي علينا آمنا

---

(١) هو : الإمام المحدث الثقة محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجرى وكان قد نشأ ببغداد وحدث بها قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها سنة ٣٦٠ ودفن بها (طبقات الحفاظ ،دت: ٣ / ١٣٩)

(٢) هذه النسبة : إلى بلدة من بلاد خرسان بين مرو وهراة يقال لها بغ بغشور دخلتها غير مرة ونزلت بها وكان بها جماعة من الأئمة والعلماء قديما وحديثا (السمعاني ١٤٠٨: ١/ ٣٧٤)

(٣) هو : أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الفياض بن على بن محمد بن الفياض الآبي الهاشمي وهذه النسبة إلى أب وهي مدينة باليمن (السمعاني ١٤٠٨ : ١/ ٨٠)

به ووكّلنا علمه إليه سبحانه وتعالى وحملنا لفظه على ما احتمل في لسان العرب الذي خوطبنا به ولا نقطع بأحد معنييه بعد تنزيهه سبحانه وتعالى عن ظاهره الذى لا يليق به سبحانه وتعالي (الإمام النواوى ،دت :٢٤٩)

٦) صفتا القرب والدنو :

القرب والدنو من صفات الله الفعلية الأختيارية ثابتة له بالكتاب والسنة كما ذكرنا ، إن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله عزوجل قريب من عباده حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته وأنه يتقرب إليهم حقيقة ويدنو منهم حقيقة ولكنهم لا يفسرون كل قرب ورد لفظه في القرآن أو السنة بالقرب الحقيقي فقد يكون القرب قرب الملائكة وذلك حسب سياق اللفظ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما دنوه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الأختيارية بنفسه ... وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر (ابن تيمية ،دت: ٥ / ٤٦٦)

ويقول ابن تيمية في موضع آخر : ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه بل يبقى هذا من الأمور الجائزة وينظر في النص الوارد فإن دل علي هذا حمل عليه وإن دل علي هذا حمل عليه (ابن تيمية ، دت: ٦ / ١٤)

٧) صفة النزول :

ثبت حديث النزول المشهور ((ينزل ربنا إلي السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخر ...)) (رواه : البخاري رقم ٧٤٩٤ ومسلم : رقم ٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ذهب أئمة السلف إلي إمرارها بلاكيف ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ ﴾ [الشورى :١١]

قال أبو سعيد الدارمي [١] : فهذه الآحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها

---

(١) هذه النسبة إلى بني دارم وهو : دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم (السمعاني ١٤٠٨: ٢ /٤٠)

في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحدٌ ولا يمتنع من روايتها (أبو سعيد الدارمي ،دت: ٧٩)

وقال الإمام محمد بن خزيمة : نشهد شهادة مقّر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول (ابن خزيمة ،دت: ١ / ٢٨٩)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : فالرب سبحانه وتعالى إذا وصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلي سماء الدنيا كل ليلة وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج وأنه كلم موسى (عليه السلام) بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة وأنه استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا أو كرها لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال : ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر (ابن تيمية ،دت:٦ / ٦٤)

فهولاء الأئمة (رضوان الله تعالي عليهم) إتفقوا علي أن التأويل المُعيّن غير واجب فحينئذ التفويض أسلم أما أصحاب التأويل فيقولون : وما ورد مما ظاهره نسبة النزول إلى الله تعالي فهو مصروف عن ظاهره قال ابن جماعة : بعد أن ذكر حديث النزول إعلم أن النزول الذي هو من علو إلى أسفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه :

الأول : أن النزول من صفات المحدثات ويتوقف على ثلاثة أجسام متنقل ومتنقل عنه ومتنقل إليه وذا محال على الله تعالي .

الثاني : لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله لأن ثلث الليل يتجدد علي أهل الأرض شيئا فشيئا فيلزم انتقاله في سماء الدنيا ليلا ونهارا من قوم إلى قوم وعوده إلي العرش في كل لحظة علي قولهم إذًا فالمراد بالنزول هنا الأقبال بالرحمة والإحسان وإجابة الدعاء وقيل : في الكلام مضاف

مقدر والمعنى يترل أمر ربنا أو ملك يترل بأمره (محمود محمد خطاب السبكي ١٣٩٤ : ٩٢)

وقال الإمام فخر الدين الرازي [١] (رحمه الله) : وأنه يتعين حمل هذا الترول علي نزول رحمته إلي الأرض في ذلك الوقت (الإمام الرازي ،دت : ٦٤)

قلت : لكن الجمهور قد سلكوا في هذا الباب الطريق الواضحة السالمة وجروا علي ما ورد مؤمنين به مُترهين الله تعالى عن التشبيه والكيفية والله أعلم .

٨) صفة الرجل والقدمان :

ثبت ذلك في حديث أبي هريرة ﷺ عنه في تحاجج الجنة والنار وفيه : فأما النار فلا تمتلاء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله (وعند مسلم قدمه) فتقول : قط قط ...)) (رواه : البخاري رقم ٤٨٥٠ ومسلم رقم ٢٨٤٦)

هذا الحديث من آحاديث الصفات والعلماء فيها علي مذهبين :

أحدهما : مذهب المفوضة وهو الإيمان بأنه حق على ما أراد الله أولها معنى يليق به وظاهرها غير مراد والذي نهج هذا المذهب شيخ الإسلام ابن تيمية (ابن تيمية ،دت : ٣ / ١٥١)

والآخر : مذهب المؤوّلة فقيل : المراد بالقدم هنا المتقدم وهوسائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم أو ثم مخلوق اسمه القدم وقيل المراد به الموضع وقيل الضمير عائد إلي المزيد ويراد بالقدم الآخر لأنه آخر الأعضاء أى حتى يضع الله آخر أهل النار فيها (محمود محمد خطاب السبكى ١٣٩٤: ٣٧)

قال ابن حجر : وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك فقال : المراد إذلال جهنم فإنها إذا بالغت في الطغيان وطلب المزيد أذلها الله تعالى فوضعها تحت القدم

---

(١) بفتح الراء والزاي المكسورة بعد الألف هذه النسبة إلى الري وهي بلدة كبيرة من بلاد الديلم بين قومس والجبال خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين في كل فن قديما وحديثا ، ومنها هذا الإمام فخر الدين الرازي (السمعاني ١٤٠٨ : ٣ /٣)

وأضاف ابن حجر بقوله : وليس المراد حقيقة القدم والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها كقولهم : - أى في اللغة – رغم أنفه وسقط في يده ... (ابن جر العسقلانى ،١٤٠٥ : ٨/ ٥٨)

هذا ماأورده ابن حجر كلام أصحاب التأويل ثم قال : فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو : أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله عزوجل (ابن حجر العسقلانى ،دت:٨ /٥٧)

والظاهر أن ما عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن سار علي نهجه من عدم الخوض في تفاصيل معانيها بل نعتقد ونؤمن بأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْء ﴾ [الشورى : ١١] هو الأسلم والله أعلم .

٩) صفة اليد :

اليد صفة من صفات الله تعالى وهي ثابتة بالكتاب والسنة الدليل من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء ﴾ [المائدة : ٦٤] وقوله تعالى ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] ومن السنة حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ((إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسيءَ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيءَ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)) (رواه : مسلم رقم ٢٧٦٠)

وقد اتفقت الأمة على أن اليد فيما ذكر ونحوه مصروفة عن ظاهرها – أى عن حق المخلوق – لأن الله تعالى منزه عن الجارحة واختلفوا في بيان المراد منها بين أصحاب التفويض والتأويل ، أما أصحاب التفويض فيقولون : اليد صفة من صفات الله تعالى نثبتها كما نثبت باقي صفاته تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قال الأمام ابن خزيمة : باب ذكر إثبات اليد للخالق الباري جل وعلا والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله ... ثم قال : باب ذكر البيان من سنة النبي ﷺ على إثبات يد الله جلّ وعلا موافقا لما تلونا من تنزيل ربنا لا مخالفاً قد نزّه الله نبيه وأعلى

درجته ورفع قدره عن أن يقول إلا ما هو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه (الأمام ابن خزيمة ،دت:١ / ١٨)

وقال أبو بكر الأسماعيلى : وخلق آدم عليه السلام بيده ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يداه إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف (أبو بكر الأسماعيلي ,دت: ١)

وقال الإمام الأصبهانى [1] : فصل في إثبات اليد لله تعالي صفة له ثم قال : ذكر لبيان من سنة النبي ﷺ على إثبات اليد موافقا للتنزيل (الأمام الأصبهاني، دت:١ /٨٥)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) : إن لله تعالى يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله (ابن تيمية ،دت:٦ /٦٣)

وأعلم أن مذهب السلف السكوت عن التأويل وإمرارُ الصفات على ماجاءت وتفسيرها قرأها والإيمان بها من غير تشبيهٍ ولا تكييفٍ ولا تعطيل وهذا هو الأسلم كما عبّر به شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) .

أما أصحاب التأويل فيقولون : اليد المراد منها القدرة والنعمة وليس المراد منها الجارحة لأنه قد ثبت بالدليل العقلي والنقلي تنزيهه تعالى عن الجوارح لما فيها من التجزوء المؤدى إلى التركيب المحال على الله تعالى وهذه نصوص أئمة الدين في هذا : قال العلامة اسماعيل حقي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤]

إن الله تعالى كان قد بسط النعمة على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في شأن رسول الله ﷺ وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة فعند ذلك قالت اليهود : يد الله مغلولة أى مقبوضة ممسكة عن العطاء (إسماعيل حقي ،دت:٢ /٣)

---

(١) بكسر الألف أو فتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وفي آخرها النون بعد الألف هذه النسبة إلى أشهر بلدة بالجبال خرج منها جماعة من العلماء منها هذا الإمام : داود بن علي الأصبهاني (السمعاني ١٤٠٨ : ١ /٧٥)

فقد نص هذا الإمام على أن اليد في الآية مصروفة عن ظاهرها محمولة على ما يليق بجلال الله تعالى وهو: النعمة هذا على حد تعبيره ، وقال الزمخشرى : في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود (الزمخشري ،دت : ٤٢٤)

وقال العلامة الخطيب في تفسير هذه الآية بقوله : أى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود (الخطيب ،دت : ٣٦٨)

يقول أصحاب التأويل : على تأويلهم لآيات الصفات إن لفظ اليد ترد في اللغة العربية معاني كثيرة منها : الجارحة وهومعلوم ومنها : النعمة تقول لفلان عندى يد أشكره عليها ومنها : القوة ومنها : الملك يقال : هذه الضبعة في يد فلان أى في ملكه ومنها : شدة العناية والأختصاص يقول الإمام السبكى : هذه المعانى كلها حاصلة إلاّ معنى الجارحة فيمتنع في حق الله تعالى (محمود محمد خطاب السبكى ١٣٩٤: ٣٠٣)

والذى يبدو أن أصحاب التأويل سلكوا في تأويل آيات الصفات وأحاديثها ردا على زعم المجسمة الذين يقولون بأن اليد عضو جسمانى وهو : مذهب باطل والحقيقة أن ما عليه جمهور المُوحدين فلهم في لفظ اليد وغيرها من آيات الصفات وآحاديثها قول لا يقبل الشك والريب فيقولون : آمنا به كلٌ من عند ربنا أما سؤال ماهي وما حقيقتها فقد فوّضنا معرفتها إلى الله تعالى وهذا هو طريقة السلف والله أعلم .

٢،٢، ٣ ثمرات الإيمان بصفات الله عزوجل :

بعد أوردنا مذاهب العلماء في آيات الصفات وأحاديثها منهم من يُؤَوِلُونها ومنهم من يُفَوِضون أمرها إليه سبحانه وتعالى والإيمان بها على ما يليق به سبحانه وتعالى ، كِلاَ الفريقين يتزهون الباري سبحانه وتعالى عن مماثلة الحوادث لكن الإيمان بصفات الله تعالى على وجه يليق به سبحانه وتعالى من غير تأويل ولا تكييف ولا تعطيل يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان وقد حرّمها قوم كثيرون من

المُعطِلة والمُشبهة ، وإليك بعضا من مقتطفات كلام الشيخ : علوى بن عبد القادر السقاف حول من يؤمن بصفات الله عزوجل بقوله : فمن ثمرات الإيمان بصفات الله عزوجل .

١- أن العبد يسعى إلى الإتصاف والتحلّى بها على ما يليق به لأنه من المعلوم عند أرباب العقول أن المُحِب يحُب أن يتصف بصفات محبوبه كما أن المحبوب يحب أن يتحلّى محبه بصفاته فهذا يدعو العبد المحب لأن يتصف بصفات محبوبه ومعبوده كل على ما يليق به فالله كريم يحب الكُرَماء رحيم يحب الرُحماء رفيق يحب الرفقاء فإذا علم العبد ذلك سعى إلى التخلى بصفات الكرم والرحمة الرفق وهكذا في سائر الصفات التي يحب الله أن يتحلى بها العبد على ما يليق بذات العبد .

٢- أنه إذا آمن العبد بصفات العلم والإحاطة والمعية أورثه ذلك الخوف من الله عزوجل المطلع عليه الرقيب الشهيد فإذا آمن بصفة السمع علم أن الله يسمعه فلا يقول إلا خيرا فإذا آمن بصفات البصر والرؤية والنظر والعين علم أن الله يراه فلا يفعل إلا خيرا فما بالك بعبد يعلم أن الله يسمعه ويراه ويعلم ما هو قائله وعامله أليس حري بهذا العبد أن لايجده الله حيث نهاه ولا يفتقده حيث أمره فإذا آمن أن من صفاته الغضب والكره والسخط والمقت والأسف واللعن عمل بما لايغضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقته ثم يلعنه ويطرده من رحمته .

٣- أن صفات الله تعالى الخبرية كالوجه واليدين والأصابع والقدمين وغيرها تكون كالاختبار الصعب للعباد فمن آمن بها وصدق بها على وجه يليق بذات الله بلا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف وقال : كل من ربي ولا فرق بين إثبات صفة العلم والحياة والقدرة وبين هذه الصفات من هذا لإيمانه ومعتقده فقد فاز فوزا عظيما ومن قدم عقله السقيم على النقل الصحيح وأول هذه الصفات وجعلها من المجاز وحرف فيها وعطلها فقد خسر خسرانا مبينا إذ فرّق بين صفة وصفة وكذب الله فيما وصف به نفسه وكذب رسوله .

٤- تنزيه الله وتقديسه عن النقائص ووصفه بصفات الكمال فمن علم أن من صفاته القدوس السبوح نزّه الله عن كل عيب ونقص .

٥- أن من علم أن من صفات الله الحياة والبقاء علم أنه يعبد إلهاً لا يموت ولاتأخذه سنة ، لانوم فأورثه ذلك محبة وتعظيماً وإجلالاً لهذا الرب الي هذه صفته .

٦- ومن ثمرات الإيمان بصفة العلو والأستواء على العرش والنزول والقرب والدنو ، أن العبد يعلم أن الله منزّه عن الحلول بالمخلوقات وأنه فوق كل شيء مطلع على كل شيء بائن عن خلقه مست على عرشه وهو قريب من عبده بعلمه فإذا احتاج العبد إلى ربه وجده قريبا منه فيدعوه فيستجيب دعاءه ويترل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخر من الليل كما يليق به سبحانه وتعالى فيقول : من يدعوني فأستجيب له فيورث ذلك حرصا عند العبد بتفقد هذه الأوقات التي يخلو فيها مع ربه القريب منه فهو سبحانه قريب في علوه بعيد في دنوه .

٧- أن الإيمان بصفة الكلام وأن القرآن كلام الله تعالى يجعل العبد يستشعر وهو يقرأ القرآن أنه يقرأ كلام الله وقرأ في الحديث الصحيح أن الله سيكلمه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان استحى أن يعصى الله في الدنيا وأعدّ لذلك الحساب والسؤال جوابا ، وهكذا فما من صفة لله تعالى إلاّ وللإيمان بها ثمرات عظيمة وآثار كبيرة مترتبة على ذلك الإيمان فما أعظم نعم الله على أهل السنة الجماعة الذين آمنوا بكل ذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى (علوي بن عبد القادر السقاف ١٤١٤ : ٣١-٣٦)

تحليل وتقييم

فمتأخرو الأشاعرة يقولون : بأن الله تعالي حي بحياة عليم بعلم سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بإرادة ويجعلون ذلك كله حقيقة وينازعون في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته وغير ذلك فيجعلون ذلك مجازا ويفسرونه إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات وابن تيمية يقول : لا فرق بين نفيهم بعض الصفات وإثباتهم بعضها بل القول في إحدهما كالقول في الآخر فإرادة الله تعالي مثلا ليس كإرادة المخلوقين لأن إرادة الله تعالي علي وجه يليق به تعالي وإرادة المخلوقين علي وجه يليق بهم فكذلك محبته تعالي وغضبه تعالي علي وجه يليق به تعالي ومحبة المخلوقين وغضبهم علي وجه يليق بهم وصفات الله تعالي كذاته تعالي وصفات المخلوقات كذاتهم ولذلك فلا يحتاج إلي نفي بعضها بالتأويل لدعوى التركيب أو التجسيم أو التشبيه ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يثبت كل الصفات بدون فرق علي وجه يليق به تعالي ،

وهؤلاء أيضا يتأولون صفة العلو بعلو المنزلة والقدر وصفة الأستواء بالاستيلاء وصفة اليد بالقوة أو النعمة وصفة الوجه بالذات ويفسر النزول إلي السماء الدنيا بمعنى قرب حسابه وقربه سبحانه وتعالي من العباد ، مُعَللا علي ذلك أن اللغة العربية تتسع لهذه التفسيرات والألفاظ تقبل هذه المعاني يقول الشيخ الأمام محمد أبوزهرة : « وهو أولى بلا شك من تفسيرها بمعانيها الظاهرة الحرفية والجهل بكيفياتها كقولهم – أهل التفويض – إن لله يدا ولكن لا نعرفها وليست كأيدى الحوادث ولله نزولا وليس كنزولنا إلي أخره فإن هذه إحالات علي مجهولات لا نفهم مؤداها ولا عاقبتها بينما لو فسرناها بمعان تقبلها اللغة وليست غريبة عنها لوصلنا إلي أمور غريبة فيها تنزيه وليس فيها تجهيل » (أبو زهرة ١٩٨٧ : ١/١٦٥)

وابن تيمية يقرر إلي أن الأسلم هو التفويض الذي يدعيه وينسبه إلي السلف الصالح (رضي الله عنهم) فيأخذ الألفاظ بظواهرها الحرفية ويطلقها علي معانيها الظاهرة في أصل الدلالة ولكنه يُقرّر أنها ليست كالحوادث ويفوّض فيما بعد ذلك ولا يفسر فهو يرى أن الصحابة كانوا يعلمون معاني الآيات المتشابهات التى فيها وصف باليد والرجل والوجه والأستواء والنزول وغير ذلك ويعلمونها علي معانيها الظاهرة ولا يحاولون تعرف كيفها وحقيقتها كما لايحاولون معرفة حقيقة الذات ، هذا ما يقرّره ابن تيمية مذهباً للسلف يقول ابن تيمية : "ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله تعالي بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصف به رسوله ﷺ فيعطلوا أسماءه الحسني وصفاته العليا يحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل ... وليس في كتاب الله تعالي ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة ولا من الصحابة والتابعين ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والأختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا " (ابن تيمية ،دت: ٤٠٩)

وأقول قد اتفقا الأشاعرة وابن تيمية في أمرٍ وأختلفوا في أمرٍ آخر إتفقوا في تنزيه الباري سبحانه وتعالي عن مماثلة الحوادث وأختلفوا بين التأويل والتفويض والله سبحانه وتعالي أعلم .

١) الأدلة العقلية للآشاعرة :

لم يكن نفي الأشاعرة لبعض الصفات بناء علي موقفهم من نص من نصوص الصفات بل رأو أنه لابد من تأويله أو أن دلالته غير واضحة أو غير ذلك من الأمور المتعلقة بتفاصيل الأدلة وإنما كان نفيهم لذلك وتأويله بناء علي أدلة عقلية رأو أنها دالة علي وجوب النفي وضرورة اللُجوء إلي التأويل (ابن تيمية ١٤٠٥ : ١٧١)

ويمكن عرض أدلتهم كما يلي :

أولاً : أدلتهم وحجتهم العقلية :

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن جماع أدلتهم حُجتان :

أ – حجة الأعراض والأستدلال بها علي حدوث الموصوف بها أو بعضها كالحركة والسكون وهذه الحجة مبنية علي أن مالا يخلو من الحوادث فهو حادث وعلي امتناع حوادث لا أول لها وهذا هو دليل حدوث الأجسام (ابن تيمية ،دت:١/٢٢٥)

فهؤلاء نفوا الصفات الأختيارية عن الله تعالى بناء على أن إثبات ذلك يقتضى أن يكون الموصوف جسما وهذا ممتنع عندهم لأن الدليل علي إثبات الصانع إنما هو حدوث الأجسام ولو أثبت لله الصفات لأقتضي ذلك أنه جسم قديم فلا يكون كل جسم حادثا فيبطل دليل إثبات العالم والعلم بالصانع (ابن تيمية ١٤٠٥ : ١٥٤)

ب – حجة التجسيم والتركيب حيث زعموا أن إثبات بعض الصفات كالوجه واليدين أو الأستواء أو العلو أو النزول أو غيرها يلزم منه التجسيم أو التركيب وبنوا نفي الجسم علي أن الأجسام متماثلة فيلزم من إثباتها أن يكون الله مثل الأجسام كما بنوا نفي التركيب علي أنه لابد له من مركب وعلي أن المركب مفتقر إلي جزئه (ابن القيم ،دت: ١٠١٢- ١٠١٣)

وأصل هذه الشُبهة – شبهة التركيب – جاء من عند الفلاسفة والمعتزلة الذين قالوا : إن إثبات الصفات كالسمع والبصر والكلام والقدرة يلزم منه أن يكون مركبا من الذات والصفات .

ثانياً : موقفهم من أدلة السمع المثبتة للصفات :

وقد بنوا ذلك علي أدلتهم العقلية السابقة حيث أنهم قالوا بتقديم العقل علي

السمع عند التعارض ومن ثم كان خلاصة موقفهم من الأدلة السمعية التي جاءت بإثبات الصفات التي نفوها أو أولوها :

أ – من ناحية الثبوت قالوا عن أخبار الآحاد أنها لايحتج بها في العقيدة .

ب – من ناحية الدلالة وذلك في مثل دلالة القرآن الذي لايشك أحد في ثبوته أو الحديث عند من يرى الأحتجاج به في العقائد فقد قالوا فيها أنها من المتشابه (ابن تيمية ١٤٠٥ : ٢١٤ – ٢١٦)

وحينئذ فسبيلها أحدُ أمرين إما التأويل أو التفويض (محمود محمد خطاب السبكى ١٣٩٤ : ٥٤ – ٥٥)

٣،٢،٣ قواعد عامة في الصفات :

أسّس ابن تيمية (رحمه الله تعالي) قواعد عامة في الصفات :

القاعدة الأولي : إثبات ماأثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل (ابن تيمية ،دت : **٣/٧**) لأن الله ألمّ بنفسه من غيره ورسوله ﷺ أعلم الخلق بربه .

القاعدة الثانية : نفي مانفاه الله تعالي عن نفسه في كتابه أو نفاه عنه رسوله ﷺ مع اعتقاد ثبوت كمال ضده تعالي (ابن تيمية ،دت: ٥٨)

لأن الله أعلم بنفسه من خلقه ورسوله أعلم الناس بربه فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته ونفي الظلم يتضمن كمال عدله ونفي النوم يتضمن كمال قيوميته .

القاعدة الثالثة : صفات الله عزوجل توقيفية فلا يثبت منها إلاّ ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ولا ينفى عن الله تعالي إلاّ ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ (ابن تيمية ،دت:٥ /٢٦)

القاعدة الرابعة : التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها أما معناه فيستفصل عنه فإن أريد به باطل يتره الله عنه وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبل

مع بيان ما يدل على المعنى الصواب من الألفاظ الشرعية والدعوة إلى استعماله مكان هذا اللفظ المجمل الحادث (ابن تيمية ،دت:٥ /٢٩٩)

ومثّل ابن تيمية بلفظة (الجهة) فقال : نتوقف في إثباتها ونفيها ونسأل قائلها : ماذا تعنى بالجهة ؟ فإن قال : أعنى أنه في مكان يحويه قلنا : هذا معنى باطل يتره الله عنه ورددناه وإن قال أعني جهة العلو المطلق قلنا : هذا حق لا يمتنع علي الله وقبلنا منه المعنى وقلنا له : لكن الأولى أن تقول : هو في السماء أو في العلو كما وردت به الأدلة الصحيحة وأما لفظة الجهة فهي مجملة حادثة الأولى تركها .

القاعدة الخامسة : كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح وافقت العقل الصريح ولابد (محمد الموصلى ،دت: ١٤١ , ٢٥٣)

القاعدة السادسة : قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية (محمد الأمين الشنقيطى ،دت: ٢٦)

القاعدة السابعة : صفات الله عزوجل ثبتت علي وجه التفصيل وتنفى علي وجه الإجمال فالإثبات المفصل : كإثبات السمع والبصر وسائر الصفات والنفي المجمل كنفي المثلية في قوله تعالي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شيء ﴾ [الشورى :١١] (ابن تيمية ،دت: ٦ /٣٧ , ٥١٥)

القاعدة الثامنة : كل اسم ثبت لله عزوجل فهو متضمن لصفة ولا عكس (ابن القيم ،دت: ٤٣)

مثاله اسم الله الرحمن متضمن صفة الرحمة والكريم يتضمن صفة الكرم واللطيف يتضمن صفة اللطف ... وهذا لكن صفاته : الإرادة والإتيان والاستواء لا نشتق منها أسماء فنقول : المريد والآتى والمستوي ... وهكذا .

القاعدة التاسعة : صفات الله تعالي كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه (ابن تيمية ،دت:٥ /٢٠٦)

القاعدة العاشرة : صفات الله عز وجل ذاتية وفعلية والصفات الفعلية متعلقة بأفعاله وأفعاله لا منتهى لها (محمد بن عثيمين ١٤١١ : ٣٠)

القاعدة الحادية عشرة : دلالة الكتاب والسنة علي ثبوت الصفة إما التصريح بها أو تضمن الأسم لها أو التصريح بفعل أو وصف دال عليها (محمد بن عثيمين ١٤١١ : ٣٨)

مثال الأول : الرحمة والعزة والقوة والوجه واليدين والأصابع ونحو ذلك مثال الثاني : البصير متضمن صفة البصر والسميع متضمن صفة السمع ونحو ذلك مثال الثالث : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ﴾ [طه : ٤] دال علي الأستواء ونحو ذلك .

القاعدة الثانية عشرة : صفات الله عزوجل يستعاذ بها ويحلف بها (ابن تيمية ،دت:٦ /١٤٣ , ٢٢٩)

القاعدة الثالثة عشرة : الكلام في الصفات كالكلام في الذات (ابن تيمية ،دت:٥ /٣٣٠)

القاعدة الرابعة عشرة : القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر (ابن تيمية ،دت:٥ /٢١٢) فمن أقّر بصفات الله : كالسمع والبصر والإرادة يلزمه أن يقر بمحبة الله ورضاه وغضبه وكراهيته وغيرها من الصفات .

القاعدة الخامسة عشرة : ما أضيف إلي الله مما هو غير بائن عنه فهو صفة له غير مخلوقة وكل شيء أضيف إلي الله بائن عنه فهو مخلوق فليس كل ما أضيف إلي الله يستلزم أن يكون صفة له (ابن تيمية ،دت:٣ /١٤٥)

القاعدة السادسة عشرة : صفات الله عزوجل تثبت بما ثبت عن رسول الله ﷺ وإن كان حديثاً واحدا وإن كان آحادا (محمد الموصلى ،دت: ٣٣٢ ، ٤١٢ ، ٤٣٣)

القاعدة السابعة عشرة : معاني صفات الله عزوجل الثابتة بالكتاب أوالسنة معلومة وتُفسر علي الحقيقة لا مجاز ولا استعارة فيها البَتَة أما الكيفية فمجهولة (ابن تيمية ،دت:٥ /٣٦ , ٤٢)

القاعدة الثامنة عشرة : ما جاء في الكتاب أو السنة وجب علي كل مؤمن القول بموجبه والإيمان به وإن لم يفهم معناه (ابن تيمية ،دت:٥ /٢٩٨)

القاعدة التاسعة عشرة : باب الأخبار أوسع من باب الصفات وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيا : كالقديم والشيء والموجود ... (ابن القيم ،دت:١ /١٦٢)

القاعدة العشرون : صفات الله عزوجل لايقاس عليها (أبي سليمان حمد الخطابي ١٤٠٤ : ١١١)

فلا يُقاس السخاء علي الجود ولا الجلد علي القوة ولا الأستطاعة علي القدرة ولا الرقة علي الرحمة والرأفة ولا المعرفة علي العلم ... وهكذا لأن صفات الله عزوجل لايتجاوز فيها التوقيف .

القاعدة الحادية والعشرون : صفات الله عزوجل لاحصر لها لأن كل اسم يتضمن صفة وأسماء الله عزوجل لاحصر لها فمنها ما أستأثر الله به في علم الغيب عنده .

تحليل وتقييم

وخلاصة القول : كان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية مع الأشاعرة والمعتزلة والمشبهة وغيرهم في آيات الصفات وأحاديثها موقف الإثبات مع نفي المماثلة – اى إثبات ما يثبته الله تعالي لنفسه في القرآن من الصفات ورسوله له في أحاديثه منها علي وجه يليق به مع نفي مماثلة المخلوقات كقوله تعالي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شيء ﴾ [الشورى :١١]وقوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣]

وذلك كمذهب السلف الصالح من إثبات الصفات كلها بدون فرق مع نفي المماثلة وتفويض الكيفية وعلم معناها اللائق به تعالي ، بخلاف متأخري الأشاعرة فإنهم يثبتون بعض الصفات – صفات معاني السبع – وينفون بعضها – صفات الخبرية – وصفة العلو والأستواء – باللُجوء إلي التأويل لدعواهم أن ذلك يؤدى إلي التركيب والتجسيم والتشبيه بناء علي الأصول العقلية المقدمة علي السمعية إذا تعارضا وقالوا : في حديث الآحاد : لا حجة في العقيدة وفي القرآن الكريم : يدل علي التشبيه ، وأما المعتزلة فيثبتون الأسماء وينفون الصفات عن الله تعالي ولكن الأسماء عندهم لاتدل علي الصفات كقدير لا يدل علي قدرة ومريد لايدل علي إرادة وينفون الصفات عن الله تعالي لئلا

يؤدى إلي التركيب والتجسيم والتشبيه ، وأما الجهمية فينفون الأسماء والصفات جميعا ويوافقهم علي هذا كثير من الفلاسفة والباطنية وغيرهم الذين يصفونها بالسلوب والإضافات فقط ، وأما المشبهة فيثبتون الصفات علي وجه يشبهون بالمخلوقات والله أعلم (ابن تيمية ،دت: ٤٠٩)

٣،٢،٤ في أن القرآن مخلوق او غير مخلوق

والذي كان عليه السلف والأئمة من أهل السنة والجماعة أن القرآن هو كلام الله غير مخلوق وأن الله ينادى بصوت وأن القرآن كلامه تعالي بحرف وصوت وليس كلاما لغيره لا جبريل ولا لغيره وأن العباد يقرأونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم فالصوت المسموع من العبد صوت القاريء والكلام كلام الباريء وقد اتفق السلف علي التمييز بين صوت الرب وصوت العبد ومتفقون أن الله تعالي تكلم بالقرآن الذي أنزله علي نبيه ﷺ حروفه ومعانيه وأنه ينادى عباده بصوته (ابن تيمية ، دت:٣ /٤٩٩ — ٥٠٠)

ومتفقون علي أن الأصوات المسموعة من القُراء أصوات العباد وعلي أنه ليس شيء من أصوات العباد ولا مِدَادَ المصاحف قديماً والنبي ﷺ يقول : « زَّينوا القرآن بأصواتكم » فبيّن أن الصوت صوت القاريء والكلام كلام الباريء فصوت القاريء مخلوق وكلام الباريء غير مخلوق بل القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين مقرُوءٌ بألسنتهم محفوظ بقلوبهم وهو كله كلام الله غير مخلوق (ابن حجر العسقلانى ١٤٠٢ : ١٣ /٤٤٧)

١) القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود :

سُئل الإمام أحمد بن حنبل - ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفي سنة ٢٤١ هـ - وهو أحد الأئمة الأربعة ﷺ عن تفسير قول السلف : القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود فقال الإمام أحمد : منه بدأ وليس ببائن عنه ، وإنما قال الإمام أحمد ذلك لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون : أنه خلق الكلام في محل فبدأ الكلام من ذلك المحل وقال

الإمام أحمد وإليه يعود أي في آخر الزمان حين يرفع من المصاحف والصدور فلا يبقي ولو آية (ابن تيمية ، دت: ٦)

وليس معنى قول السلف القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود أنه فارق ذاته تعالي وحل بغيره فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لايفارق ذاته ويحل بغيره فكيف يكون كلام الله قال تعالي ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]

فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ومع هذا فلم تُفَارق ذاتهم ومقصود السلف الرد علي هؤلاء الجهمية فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله تعالي كما يقولون كلامه لموسي عليه السلام خرج من الشجرة فبين السلف والأئمة (رحمهم الله) أن القرآن من الله بداء وخرج وذكر قوله تعالي ﴿ وَلَكِن حَقَّ القَولُ مِنى ﴾ [السجدة : ١٣] فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات (ابن تيمية ، دت:٣ /٤٨٦)

٢) مذهب الأشعري :

يقول : إن القرآن لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبريل أو غيره عبّر به عن المعنى القائم بذات الله تعالي ويضيف قائلاً : أنه معنى واحد قائم بالذات وأن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد وأنه لايتعدد ولا يتبعض وإنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا والعبرانية كان توراة وبالسريانية كان إنجيلا فيجعلون معنى آية القرآن والتوراة والإنجيل وغيرها معنى واحد ، وقالت طائفة من الأشاعرة : أن القرآن هو الحرف والصوت او الحروف والأصوات وقالوا : إن حقيقة الكلام هو الحروف والأصوات و لم يجعلوا المعانى داخلة في مسمى الكلام (ابن تيمية ،دت: ٣ /٤٩٨)

تحليل وتقييم

قد تبين لنا أن مذهب الأشاعرة يقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه معنى واحد قائم بذاته تعالي وهو حكاية او عبارة عن كلام الله القائم بذاته فإن عبر

عنه بالعربية كان قرآنا والعبرانية كان توراة وبالسريانية كان إنجيلا ، والجهمية من المعتزلة يقولون : إن القرآن هو مخلوق خلقه الله في الشجرة وهو بائن منه تعالي ومنه بدأ الكلام ويسمعه موسى منها لا من الله تعالي ، وابن تيمية يُقَرِرُ أن القرآن كلام الله تكلم به وأوحى إلي نبيه الكريم والقراءة هي صوت القاريء الذي يسمع وهي على ذلك غير القرآن الكريم بل هي تلاوته ، أما القرآن الكريم فكلام الله تعالي ولا يرى ابن تيمية أن ثمة تلازما بين أن يكون القرآن كلام الله غير مخلوق وأن يكون قديما بل يرى أن القرآن الكريم كلام الله تعالي غير مخلوق ولكن لا يحكم بأنه قديم ولذلك يقول : " السلف اتفقوا علي أن كلام الله مترل غير مخلوق فظن بعض الناس أن مرادهم أنه قديم العين " ثم يُبَين ابن تيمية إن القرآن ليس صفة الكلام القديمة القائمة بذات الله تعالي فيقول : " فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته وإن قيل أنه ينادى بصوت ويتكلم بصوت لا يلزم من ذلك قدم الصوت وإذا كان قد تكلم بالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل لم يمنعوا من أن يتكلم بالياء قبل السين " (ابن تيمية ،دت:٣ /١٢ ، ٢٢ ، ٢٥)

وإن هذا الكلام يستفاد منه أن صفة الكلام قديمة وأن كلام الله الذى يخاطب به خلقه كالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل لا يعد مخلوقا لله ولا يُعد قديما والله أعلم .

٣،٢،٥ في صفة الكلام

إختلف أهل العلم في كلام الله تعالي فمذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو [١] والفارابى [٢] والطوسى [٣] قولهم : إن كلام الله ليس صفة قائمة به ولا مخلوقا منفصلا عنه بل هو ما يفيض علي النفوس إما من العقل الفعال او غيره حسب نظريتهم في الخلق فأوجب لها ذلك الفيض تصوُرات وتصديقات فتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها

---

(١) ٣٨٤ – ٣٢٢ فيلسوف اليونان .

(٢) أبو نصر محمد ٨٧٠ – ٩٥٠ م الفرابى نسبة إلى فاراب ببلاد الترك .

(٣) إسمه نصير الدين ١٢٠١ – ١٢٧٤ فيلسوف فارس ولد بطوس قرب نيسابور .

وتكلمها بكلام تسمعه الأذان من القوة الخيالية الوهمية والحقيقة عندهم لا كلام لله في الخارج بل كلام الله علي سبيل المجاز (محمد الموصلى ،دت:/٤٠٩)

ومذهب المعتزلة إن كلام الله هو مخلوق خلقه الله في غيره منفصلا عنه (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ١٦٨)

ومذهب الإتحادية – مذهب وحدة الوجود – يقول هذا المذهب إن كل كلام في الوجود كلام الله وأن الله تعالي عين هذا الوجود فصفاته هي صفات الله وكلامه هو كلام الله تعالي (محمد الموصلى ،دت: ٤٠٨)

ومذهب الجهمية المتفلسفة يقولون : إن كلام الله مخلوق وأن الله إنما كلم موسي بكلام مخلوق خلقه في الهواء وأنه لا يرى في الآخرة وأنه ليس مُبايناً لخلقه وأمثال هذه المقالات التى تستلزم تعطيل الخالق وتكذيب رسله وإبطال دينه (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ١٦٩)

ومذهب الأشاعرة يقول : كلام الله معنى واحد بالنفس قائم بذاته أزلاً وأبداً دون الحروف والأصوات وهذا ما يُسمونه بالكلام النفسى ولذلك منعوا أن يكون كلام الله بحرف وصوت وأنه قديم أزلي كحياته وعلمه ولذا فلا يتعلق بمشيئته وقدرته ولا يتكلم إذا شاء متى شاء وأن القرآن العربى – كلام اللفظى – عبارة عن كلام الله تعالي وهو مخلوق آتى به جبريل أو محمد ﷺ إلي الإنس والجن (ابن تيمية ،دت : ٤٩٢)

ومذهب أهل السنة والجماعة وهو أنه تعالي لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعيّن قديماً فهم يقولون : إن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه ليس شيء من ذلك كلاما لغيره وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ /١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠)

تحليل وتقييم

والصواب ما عليه أهل السنة والجماعة ومثل هذا ما ذهب إليه ابن تيمية من أن الله سبحانه وتعالي لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وأنه يتكلم بمشيئته

وقدرته وأن كلماته لا نهاية لها وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد كما أن علمه لا يماثل علمهم وقدرتهم لا تماثل قدرتهم وأنه تعالي بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وإن أقوال أهل التعطيل والإتحاد الذين عطّلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة ، وأما مذهب الأشاعرة فخالفوا أقوال السلف علي ما يبدو لي في عدة أمور منها : إن الله لايتكلم إذا شاء متى شاء وأن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله تعالي وقت تكليمه وإنما سمع الكلام الأزلي أو أن الله خلق له الإدراك وأن قولهم بأن كلام الله معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعض إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وأن الخبر والأمر والنهي شئ واحد وأن قولهم بأن القرآن العربي مخلوق وهذا موافق للمعتزلة والله أ علم .

٣،٢،٦ في إثبات الوحدانية

١ – قوله تعالي ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢]

ومعنى الآية أنه لو كان فيهما – اى السموات والأرض – آلهة غير الله لفسدتا ولكن ما فسدتا تدل علي أنه ليس فيهما آلهة إلاّ الله (ابن تيمية ،دت:٢ /٦٨)

فلم يقل سبحانه وتعالي لو كان فيهما آلهان بل المقدر آلهة غير الله المعلوم أنه إله فإنه لم ينازع أحد في أن الله إله حق وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلها مع كونه مملوكا له (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ /١٠٢٦)

٢ – قوله تعالي ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١]

ففي هذه الآية اللازمان الباطلان : اللازم الأول : ماأشار إليه قوله تعالي ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون :٩١]

وبيان هذه المُلازمة وهو ذهاب كل بما خلق فلأنه إذا كان معه إله إمتنع أن يكون مستقلا بخلق العالم وأمتنع أيضا أن يكون مُشارِكاً للآخر مُعاونا له (محمد خليل هراس ١٤٠٤ : ٨٣)

لأن ذلك يستلزم عجز كل منهما والعاجز لا يفعل شيئا فلا يكون ربا ولا إلها لأن أحدهما إذا لم يكن قادرا إلا بإعانة الآخر لزم عجزه حالة الأنفراد وامتنع أن يكون قادرا حالة الأجتماع فإنه لا يكون قادرا حتى يجعله الآخر قادرا أوحتى يعينه الآخر وذلك لا يجعله قادرا ولا يعينه حتى يكون هوقادرا ولا يكون قادرا حتى يجعله ذاك او يعينه فيلزم الدور (محمد خليل هراس ١٤٠٤ : ٨٣ – ٨٤)

فامتنع إذا كان كل منهما محتاجا إلي إعانة الآخر في الفعل أن يكون قادرا فامتنع أن يكون لكل واحد منهما حال الانفراد وحال الاجتماع فعل فتعيّن أن يكون كل واحد منهما قادراً عند انفراده وإذا كان كذلك ففعل أحدهما إن كان مُستلزماً لفعل الآخر كان لا يفعل شيئاً حتى يفعل الآخر فيه شيئا لَزِماَ أن لا يكون أحدهما قادرا علي الانفراد وعاد احتياجهما في أصل الفعل إلي التعاون وذلك ممتنع بالضرورة (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ /١٠٢٧)

فلابد أن يمكن أحدهما أن يفعل فعلاً لا يُشاركه الآخر فيه وحينئذ فيكون مفعول هذا متميزا عن مفعول ذلك ومفعول ذلك متميز عن مفعول هذا فيذهب كل إله بما خلق هذا بمخلوقاته وذاك بمخلوقاته (ابن تيمية ،دت:٢ /٦٩)

فتبيّن أنه لو كان معه إله لذهب كل إله بمخلوقاته وهذا ليس بواقع فإنه ليس في العالم شئ إلاّ وهو مرتبط بغيره من أجزاء العالم .

أما اللازم الثانى : فقد دل عليه قوله تعالي ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١]

وأما البيان البرهان الثانى هذا فأنهما يمتنع أن يكونا متساويين في القدرة لأنهما إذا كانا متساويين في القدرة لم يفعلا شيئا لاحال الاتفاق ولا حال الاختلاف سواء كان الاتفاق لازما لهما او كان الاختلاف هو اللاّزم او جاز الاتفاق وجاز الاختلاف (ابن تيمية ،دت: ٦٩)

لأنه إذا قدر أن الاتفاق لازم لهما فلأنّ أحدهما لا يريد ولا يفعل حتى يريد الآخر ويفعل وليس تقدم أحدهما أولى من تقدم الآخر لتساويهما فيلزم أن لا يفعل واحد منهما (محمد خليل هراس ١٤٠٤ : ٨٤)

وإذا كان الاختلاف لازما لهما امتنع مع تساويهما أن يفعلا شيئا لأن هذا يمنع ذاك وذاك يمنع هذا لتكافؤ القدرتين فلا يفعلان شيئا (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ /١٠٢٨)

وأيضا فإن امتناع أحدهما مشروط بمنع الآخر فلا يكون هذا ممنوعا حتى يمنعه ذاك ولا يكون ذاك ممنوعا حتى يمنعه هذا فيلزم أن يكون كل منهما مانعا ممنوعا وهذا ممتنع (محمد خليل هراس ١٤٠٤ : ٨٤)

ولأن زوال قدرة كل منهما حال التمانع إنما هي بقدرة الآخر فإنه إذا كانت قدرة هذا لا تزول حتى تزيلها قدرة ذاك وقدرة ذاك لا تزول حتى تزيلها قدرة هذا فلا تزول واحدة من القدرتين فيكونان قادرين وكونهما قادرين علي الفعل مطيقين له في حال كون كل منهما ممنوعا بالآخر عن الفعل عاجزا عنه محال لأنه جمع بين النقيضين (ابن تيمية ،دت:٢ /٦٩)

وأما إذا قدر إمكان اتفاقهما وإمكان اختلافهما فإن تخصيص الأتفاق بدون الأختلاف تخصيص الأختلاف بدون الأتفاق يحتاج إلي من يرجح أحدهما علي الآخر ولا مرجح إلّا هما وترجيح أحدهما بدون الآخر محال ترجيح أحدهما مع الآخر هو اتفاق فيفتقر تخصيصه إلي مرجح آخر فيلزم التسلسل في العلل وهو ممتنع باتفاق العقلاء وخلاصة القول : أنه إذا قدر إلهان فلا بد أن يكون أحدهما أقدر من الآخر والأقدر لابد أن يعلو من هو دونه في القدرة وإذا علا بعضهم علي بعض فالعالي هو الإله القاهر المستقل بالفعل وحده (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ٨٠ – ٨١)

تحليل وتقييم

فتبين أنه لو قدر آلهان وكانا متكافئين في القدرة لم يفعلا شيئا لا حال الاتفاق ولا حال الاختلاف لذلك فلا بد إذا قدر إلهان أن يكون أحدهما أقدر من الآخر وهذا الأقدر عال علي من دونه في القدرة بالضرورة فلو كان ثمّ آلهة لوجب علو بعضهم علي بعض و لم يكن المستقل بالفعل إلاّ العالي وحده فتبيّن أنه لوكان معه آلهة لعلا بعضهم علي بعض كما تبين أنه كان يذهب كل إله بما خلق ، وقد اتفق شيخ الإسلام ابن تيمية

مع الأشاعرة في هذا الدليل التمانع وهو دليل عقلي صحيح وأن القرآن الكريم جاء بالأدلة العقلية الواضحة علي إثبات التوحيد لله تعالي وبين أن ذلك ما ذكره تعالي بقوله ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون :٩١]

ولكن كثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالي ﴿لوكَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء :٢٢] لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قررُوه هو توحيد الألوهية وليس الأمر كذلك بل التوحيد الألوهية وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا التوحيد دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب وهذا التوحيد أيضا المتضمن توحيد الربوبية فالمشركون من العرب يقرون بتوحيد الربوبية وأن خالق السموات والأرض واحد لاشريك له لكن لا يقّرون بتوحيد الإلهية لأنهم عبادة غير الله تعالي فهم مشركون به وأخبر الله سبحانه وتعالي علي ذلك الأقرار بقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزمر :٣٨] والله أعلم .

٣،٢،٧ في التوحيد والتنزيه

فلفظ التوحيد والتَنزِيه والتَشبيه والتَجسِيم ألفاظٌ قد دخلها الأشتراك بسبب اصطلاحات المتكلمين وغيرهم وكل طائفة تعني بهذه الأسماء ما لايعنيه غيرهم فاصطلحوا علي وضعهم للتعطيل المحض ثم دعوا الناس إلي التوحيد فخدعوا به من لم يعرف معناه في اصطلاحهم وظن أن ذلك التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل (ابن تيمية ١٣٧٠ : ١٢٣)

فتوحيد الفلاسفة : فهو إنكار ماهية الرب الزائدة علي وجوده وإنكار صفات كماله وأنه لاسمع له ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ولا كلام ولا وجه ولا يدين وليس فيه معنيان متميز أحدهما عن الآخر ألبتة قالوا: لأنه لو كان كذلك لكان مركبا وكان جسما مؤلفا ولم يكن واحدا من كل وجه (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ٧٨٠)

فلما سمعوا قوله تعالي ﴿ وَإِلَـــهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة : ١٦٣] وقوله ﴿وَمَا مِنْ إِلَـــهٍ إِلاَّ إِلَـــهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة :٧٣] قالوا: لو كان له صفة أو كلام أو مشيئة أوعلم أو حياة أو قدرة أو سمع أو بصر لم يكن واحدا وكان مركبا مؤلفا فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء وهو التوحيد وسموا أصح الأشياء وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب ونعوت كماله بأقبح الأسماء وهو التركيب والتأليف فتولد بعد ذلك جحد حقائق أسماء الرب وصفاته بل وجحد ماهيته وذاته تعالي فلما رأى ماجاءت به الرسل يعارضه فقالوا : إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل ، أما توحيد الجهمية من المعتزلة : فهو مشتق من توحيد الفلاسفة وهو نفي صفات الرب كعلمه وكلامه وسمعه وبصره وحياته وعلوه على عرشه ونفي وجهه ويديه وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته (ابن حر العسقلانى ١٤٠٢ : ١٣ /٢٩٤)

أما إثبات تلك الصفات فهو التجسيم والتشبيه عندهم (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ٧٨٠)

أما توحيد الأشاعرة : فهو إثبات الصفات السبع من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ونفي الصفات الخبرية او بعضها بالتأويل أما التشبيه والتجسيم عندهم فهو إثبات صفات الخبرية او بعضها (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ٢٩٤/)

ومذهب السلف (رحمهم الله) مشهور في الرّد علي نُفاة الصفات أو بعضها يقول ابن تيمية بعد كلامه عن المعتزلة الذين جعلوا نفي الصفات كالعلم والقدرة من التوحيد والتنزيه عن التشبيه والتجسيم : " ثم هؤلاء مضطربون فيما ينفونه من ذلك لكن وافقوا اولئك علي أن ما نفوه من التشبيه وما نفوه من المعنى الذى سموه تجسيما هو التوحيد الذى لا يتم الدين إلاّ به وهو أصل الدين عندهم وكل من سمع ما جاءت به الرسل يعلم بالأضطرار أن هذه الأمور ليست مما بعث الله به رسوله ولم يكن الرسول يعلم أمته هذه الأمور ولا كان أصحاب رسول الله ﷺ يعلمها فكيف يكون هذا التوحيد الذي هو أصل الدين لم يدع إليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون بل يعلم بالأضطرار

أن الذي جاء به الرسول من الكتاب والسنة يخالف هذا المعنى الذى سماه هؤلاء الجهمية توحيدا ولهذا مازال سلف الأمة وأئمتها ينكرون ذلك " (ابن تيمية ١٤٠٧ : ١٢٣)

أما توحيد القدرية الجَبرية : فهو إخراج أفعال العباد أن تكون فعلا لهم وأن تكون واقعة بكسبهم او إرادتهم بل هى نفس فعل الله فهو الفاعل لها دونهم فنسبتها إليهم وأنهم فعلوه مناف للتوحيد عندهم (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ /٩٦٦)

أما توحيد القائلين بوحدة الوجود : فهو أن الوجود عندهم واحد ليس عندهم وجودان ، قديم وحادث خالق ومخلوق وواجب وممكن بل الوجود عندهم واحد بالعين والذى يقال له الخلق المشبه هو الحق المتره والكل من عين واحدة بل هو العين الواحدة (محمود عبد الرؤف القاسم ١٤٠٨ : ١٠٥ – ١٠٦ – ١٠٧)

وأما أهل السنة : ففسروا التوحيد بنفى التشبيه والتعطيل وقالوا: التوحيد مصدر وحّد يُوَحِّد ومعنى وحدت الله إعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظيرله ولا شبيه وقيل معنى وحدته علمته واحدا ، وقيل سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لانقسام له وفي صفاته لاشبيه له وفي ألهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولارب سواه ولاخالق غيره (ابن حجر العسقلانى ١٤٠٢ : ١٣ /٢٩٤)

وأما توحيد الرُسل : فهو إثبات صفات الكمال له تعالي وإثبات كونه فاعلا بمشيئته وقدرته وأختياره وأن له فعلا حقيقة وأنه وحده الذى يستحق أن يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل وليس لخلقه من دونه وكيل ولا وكيل ولا شفيع ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه وفي تفريج كرباتهم وإغاثة لهفاتهم وإجابة دعواتهم وبينه وبينهم واسطة في تبليغ أمره ونهيه وخبره إليهم فلا يعرفون ما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ولا حقائق أسمائه وتفصيل ما يجب له ويمتنع عليه ويوصف به إلا من جهة هذه الواسطة ، وهكذا توحيد السلف الصالح وأئمتهم (رحمهم الله) (محمد الموصلى، دت: ٠٨)

فجاء المُلاحدة فعكسوا الأمر وقلّبوا الحقائق فنفوا كون الرسل وسائط في ذلك وقالوا: تلقى بواسطة العقل ونفوا حقائق أسمائه تعالي وصفاته وقالوا هذا التوحيد

ولكن في الحقيقة تعطيل الرب سبحانه وتعالي عما يستحقه من كماله وقالوا: وهذا الإيمان بالرسول (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ٧٥ – ٧٦)

ولكن في الحقيقة ليس الإيمان بالرسل بل تكذيب الرسل وقالوا : تنزيهُنا عن الأعراض ولكن في الحقيقة هو جحد صفاته تعالي كسمعه وبصره وحياته وعلمه وكلامه وإرادته فإن هذه أعراض لاتقوم إلا بجسم فلو كان متصفا بها لكان جسماً وكانت أعراضا له وهو مترهٌ عن الأعراض (ابن القيم ،دت:٣ /٩٣٤)

وأما تنزيههم الأبعاض فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس له تعالي وجه ولا يدان ... فإن ذلك كله أبعاض والله منزه عن الأبعاض (ابن القيم ،دت: ٩٣٥– ٩٣٦)

وأما الحدود والجهات فمرادهم بتنزيهه عنها أن ليس فوق السموات رب ولا علي العرش إله ولا يشار إليه بألاصابع إلي فوق كما أشار إليه أعلم الخلق به ولا ينزل منه شئ ولا يصعد إليه شئ ولا تعرج الملائكة والروح إليه ولارفع المسيح إليه ولا عرج برسوله محمد ﷺ إذ لوكان ذلك للزم إثبات الحدود والجهات له وهو منزه عن ذلك (محمد الموصلى ،دت: ١٢٤ – ١٢٥)

وأما حلول الحوادث فيريدون به أنه لا يتكلم بقدرته ومشيئته ولا ينزل كل ليلة إلي سماء الدنيا ولا يأتى يوم القيامة ولا يجئ ويغضب بعد أن كان راضيا ولا يرضى بعد أن كان غضبان ولا يقوم به فعل البتة ولا أمر مجدد بعد أن لم يكن ولا يريد شيئا بعد أن لم يكن مريدا له ولا يقل له كن حقيقة ولا أستواء علي عرشه بعد أن لم يكن مستويا عليه ولايغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولا ينادى عباده يوم القيامة بعد ان لم يكن مناديا لهم (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ /٩٧٣)

أما التوحيد الذي جاء به الكتاب والسنة : هو توحيد الإلهية فلا إله إلا الله فهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه كما قال تعالي ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة :١٦٣] وقال الله تعالي ﴿ وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل :٥١] وقال ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٢] وقال

تعالي ﴿ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد :١٩] وقال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات : ٣٥]

وبالجملة فهذا أول مادعا إليه الرسول ﷺ وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عباة الله وحده ومن عبد من دونه شيئا من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين وإن كان مع ذلك قائلا بهذه المقالات التى زعموا أنها التوحيد حتى لو أقّر أن الله وحده خالق كل شئ (عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ١٤١٥ : ٣ /٩٧٣)

فإن المشركين من العرب كانوا يقّرُون بتوحيد الربوبية وأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله تعالي عنهم بقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف :٩] ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم (ناصر الدين الألبانى ١٤٠٤ : ٨١)

ولكنهم يعبدون الأصنام من دون الله ليقربوهم إلي الله تعالى وشفعائهم عند الله قال تعالي﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣]

وقال ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـــؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّه ﴾ [يونس :١٨] فإذا تأملنا تأمُلاً جيدا عرفنا أن الكفار يشهدون لله تعالي بتوحيد الربوبية ويقرون به ولكنهم لا يعترفون توحيد الألهية وهو أن يعبد الله وحده لاشريك له (ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، دت: ١١٠)

تحليل وتقييم

فالمعتزلة جعلوا نفي جميع الصفات توحيدا وإثباتُه تشبيهٌ ومركبٌ ومجسمٌ والأشاعرة إثبات بعض صفاته تعالي وجعلوا نفي بعضها كالصفات الخبرية وهذا يسمى توحيدا عندهم وقالوا : إثبات الصفات الخبرية تشبيه الله تعالي بالخلق عندهم والتوحيد والتنزيه عند الجهمية نفى الأسماء والصفات جميعا وكل طائفة تجعل ما تنفيه من الأسماء والصفات من التشبيه الذي يجب تنزيه الله عنه وهذا من بدع أهل الكلام إذ لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا أقوال السلف الصالح أن يجعل نفي الصفات أو بعضها

من التوحيد إذاً فتوحيدُهم على خلاف توحيد السلف الصالح (رحمهم الله) فهو إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالي علي وجه يليق به تعالي من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل وهذا هو التوحيد عندهم ، وقد أقّر ابن تيمية (رحمه الله) هذا التوحيد كما يتضح ذلك في أكثر كتبه من إثبات كل صفات الكمال مع نفي المماثلة كما قد ذكرنا والله تعالي أعلم .

٣،٣ ابن تيمية مع الفلاسفة

٣،٣،١ في مسألة قدم العالم

يقول الفلاسفة – من الفرس واليونان والرومان وهؤلاء كان للعلوم الفلسفية عندهم منزلة كبيرة - بقدم العالم أو الأفلاك وأن المبدع علة تامة مُوجِبٌ بذاته فالعلة التامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها شيئ من معلولها (ابن تيمية ، دت:١/ ٣٦ – ٤٤)

ولكن هؤلاء الفلاسفة لا يتم قولهم بقدم شيء من العالم إلا إذا كان المعلول مقارنا للعلة التامة لا يتأخر عنها وحينئذ فيلزم أن يكون كل حادث من الحوادث تمام علته حادث معه وتمام علة ذلك التمام حادث معه فيلزم وجود حوادث لانهاية لها في آن واحد ليست متعاقبة وهذا مما يسلمون أنه ممتنع (ابن تيمية ، دت: ١/٢٥٨)

وقال فريق من الفلاسفة : إن القديم يجوز أن يتعقب عليه الحوادث مطلقا وإن كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء هم القائلون بقدم العالم كما يقولون بقدم هذه الأفلاك , وأنها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة أزلية لكن المنتسبون إلي المِلَل كابن سينا ونحوه منهم قالوا: إنها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته (ابن تيمية ،دت: ٣/ ٤٤٨)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : "وبينا أن قولهم بأن المُبدع علة تامة موجب بذاته هو نفسه يستلزم فساد قولهم فإن العلة التامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن

يتأخر عنها شييء من معلولها فالحوادث مشهودة في العالم فلو كان الصانع موجبا بذاته علة تامة مستلزمة لمعلولها لم يحدث شيئ من الحوادث فالموجود الحادث يمتنع أن يكون صادرا عن علة تامة أزلية فلو كان العالم قديما لكان مبدعه علة تامة والعلة التامة لا يتخلف عنها شييء من معلولها فيلزم من ذلك أن لايحدث في العالم شيئ فحدوث الحوادث دليل علي أن فاعلها ليس بعلة تامة في الأزل وإذا انتفت العلة التامة في الأزل بطل القول بقدم شيء من العالم " (ابن تيمية ،دت:١ /٣٦)

وأما أرسطو وأتباعه فإنهم قالوا: إن لها علة غائبة تتحرك للتشبيه بها فهي تحركها كما يحرك المعشوق عاشقه و لم يثبتوا لها مبدعا قائما بذاته وإنما أثبت واجب الوجود بطريقة ابن سينا وأتباعه وحقيقة هؤلاء وجود الحوادث بلا محدث أصلا (ابن تيمية ،دت:٣ /٤٤٨)

تحليل وتقييم

وكل ما سوى الله مخلوق حادث كائن بعد أن لم يكن ولا حجة علي قدم العالم أو الفلك مع أن الرُسل قد أخبرت بأن الله سبحانه وتعالي خالق كل شيء وأن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام فكيف عدلت الفلاسفة عن صحيح المنقول وصريح المعقول إلي ماياقضه بل أثبتهم قدم ما لا يدل دليل إلّا علي حدوثه لا علي قدمه ثم يقال لهؤلاء الفلاسفة الذين يقولون : إن وجود العالم الذي هو المعلول بعد وجود الله الذي هو العلة مقترنا له من غير زمان والعلة والمعلول قديمان أمر قدروه في الأذهان لا وجود له في الأعيان فلا يعقل في الخارج فاعل يقارنه مفعوله سواء سموه علة تامة أو لم تسموه والعلم بصدق الرسول ﷺ ليس موقوفا علي العلم بحدوث العالم وهذه طريقة صحيحة لمن سلكها فإن المقدمات الدقيقة الصحيحة العقلية قد لا تظهر لكل أحد والله تعالي قد وسع طرق الهدى لعباده فيعلم أحد المستدلين المطلوب بدليل ويعلمه الآخر بدليل آخر والله أعلم .

٣،٣،٢ في مسألة علم المنطق

قال شيخ الإســـلام ابن تيمية (رحمه الله): إن كنتُ دائماً أعلم أن المنطق اليونانى لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد وقد رد علي كل قواعده فمن بعض ما رد عليه قول المناطقة : إن العلوم لا تحصل إلا بالقياس البرهانى المنطقي ومما يُوضح هذا أنك لاتجد أحداً من بني آدم يريد أن يعلم مطلوبا بالنظر ويستدل عليه بقياس برهاني يعلم صحته إلا ويمكنه العلم به بدون ذلك القياس البرهاني المنطقي ، ولهذا لا تجد لهذا من سائر أصناف العقلاء وغيرها ولا تنظم دليله من المقدمتين كما ينظمه هؤلاء بل يذكرون الدليل المستلزم للمدلول ثم الدليل قد يكون مقدمة واحدة وقد يكون مقدمتين وقد يكون ثلاث مقدمات بحسب حاجة الناظر المستدل إذ حاجة الناس تختلف وذلك كمعرفة حرام النبيذ المسكر وهو يعلم بالنص وليس بالقياس البرهاني المنطقي ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : كل مُسكِر خمر وكل خمر حرام وقد يظن بعض الناس أن النبي ﷺ ذكر هذا على النظم المنطقي ليتبين النتيجة بالمقدمة كما يفعله المنطقيون وهذا جهل عظيم ممن يظنه ، فإن النبي ﷺ أجل قدرا من أن يستعمل مثل هذا الطريق في بيان العلم بل من هو أضعف عقلا وعلما من آحاد علماء أمته لا يرضى لنفسه أن يسلك طريقة هؤلاء المنطقيين بل يعدونهم من الجهال الذين لا يحسنون إلا الصناعات كالحساب والطب ونحو ذلك .

تحليل وتقييم

إن قول ابن تيمية : إن المنطق اليونانى لا يحتاج إليه الذكى ولا ينتفع به البليد صحيحٌ وإن بعض ما ردّ عليه من الاحتياج إلي القياس البرهاني المنطقى في معرفة العلوم غير صحيح لأن معرفة حرام النبيذ المسكر بالنص والاجماع فليس بالقياس البرهاني المنطقى ومثل قولنا : الواحد نصف الاثنين والكل أعظم من الجزء والنقيضان لا ترتفعان ولا يجتمعان والأشياء المساوية لشيئ واحد مساوية والضدان لا يجتمعان فما من قضية من هذه القضايا الكلية تجعل مقدمة في البرهان ، إلاّ والعلم بالنتيجة ممكن بدون توسط ذلك

البرهان فإذا علم أن كل واحد فهو نصف كل أثنين وأن كل أثنين نصفهم واحد فإنه يعلم أن هذا الواحد نصف هذين الإثنين من غير إستدلال علي ذلك بالقضية العقلية – القياس البرهانى – وكذلك كل جزء يعلم أن هذا الكل أعظم من جزئه بدون توسط القضية الكلية وكذلك هذان النقيضان من تصورهما نقيضين فإنه يعلم أنهما لا يجتمعان وكل أحد يعلم أن هذا العين لا يكون موجوداً معدوماً كما يعلم العين الآخر ولا يحتاج ذلك إلي أن يستدل عليه بأن كل شيء لا يكون موجودا معدوما معاً وكذلك الضدان فإن الإنسان يعلم أن هذا الشيء لا يكون أبيض أسود ولا يكون متحركا ساكنا كما يعلم أن الآخر كذلك ولا يحتاج في العلم بذلك إلي قضية كلية بأن كل شيء لايكون أسود أبيض ولا يكون متحركا ساكنا ، والحاصل يعلم كل ذلك لا يحتاج إلي القياس البرهاني المنطقي والله أعلم .

٣،٣،٣ في مسألة الآلهيات

فنقل أرباب المقالات الناقلون لإختلاف الفلاسفة في البارى ماهو؟ قالوا: قال أفلاطون – ٤٢٧ – ٣٤٧ فيلسوف اليونان - وغيرهم من علماء الفلاسفة إن البارى لا يعبر عنه ولم يزل هوية فقط وهو جوهر فقط وهو الهوية المحضة غير المتكثرة وهى الحكمة المحضة والحق المحض (ابن تيمية ، دت:١ /٣٩٥)

وأن علمه وقدرته وجوده وحكمته بلا نهاية ولا يبلغ العقل أن يصفها ولو وصفها لكانت متناهية فألزم عليه : أنك تقول أنها بلا نهاية ولا غاية وقد نرى الموجودات متناهية فقال : إنما تناهيها بحسب إحتمال القوابل لا بحسب القدرة والحكمة والجود وإن أخص ما يوصف البارى تعالي هو كونه حياً قيُوماً لإن العلم والقدرة والجود والحكمة تندرج تحت كونه حيا والحياة صفة جامعة للكل والبقاء والدوام وحفظ النظام في العالم تندرج تحت كونه قيوما والقيومية صفة جامعة للكل (الشهرستانى ،دت:٢ /٨٤)

وقولهم : لم يزل الفلك مقارنا له أزلاً وأبداً فأمتنع حينئذ أن يكون مفعولا له فإن الفاعل لا بد أن يتقدم على فعله وعندهم أنه لا يعلم شيئا من جزئيات العالم فمن

لم يعلم الجزئيات يمتنع أن يعلمها غيره من الموجودات ، وقولهم هذا أقبح الأقوال (ابن تيمية ،دت: ٣٦٣/٥)

ومن ضمن ما قالوا أيضا إن واجب الوجود حي بذاته باق بذاته أى كامل في أن يكون بالفعل مدركا لكل شيء نافذ الأمر في كل شيء وقال : إن الحياة التي عندنا يقترن بها من إدراك خسيس وتحريك خسيس وأما هناك فالمشار إليه بلفظ الحياة هو كون العقل التام بالفعل الذى يتعقل من ذاته كل شيء وهو باق الدهر أزلي فهو حي بذاته عالم بذاته وإنما ترجع جميع صفاته إلى ما ذكرنا من غير تكثر ولا تغير في ذاته (الشهرستاني ،دت:٢ /١٢٤)

وقال تاليسن – شاعر من ويلز يُرجّح أن يكون من القرن السادس للميلاد – أحد أساطين الحكمة : إن صفة الباري لا يدركها العقول إلا من جهة آثاره ، فأما من جهة هويته فغير مدرك له صفة من نحو ذاته بل من نحو ذواتنا كأن يقول : أبدع الله العالم لا لحاجة إليه بل لفضله ولو لا ظهور أفاعيل الفضيلة لم يكن ههنا وجوده وكان يقول : إن فوق السماء عوالم مبدعة أبدعها من لا تدرك العقول كُنهه ، وقال فيثاغُورس لا يدرك من جهة النفس وهو فوق الصفات العلوية الروحانية غير مدرك من نحو هويته بل من قبل آثاره في كل عام فيصف وينعت بقدر ظهور تلك الآثار في تلك العالم وهو الواحد الذى إذا رامت العقول إدراك معرفته عرفت أن ذواتها مبدعة مسبوقة مخلوقة (ابن تيمية ١٤٠٥ : ١ /٣٩٦)

حقيقة ما يقوله الفلاسفة نفي ماهية الرب أو يؤلهون أرسطو وأفلاطون ويثبتون قدم العالم ويصفون بالإلهَهم بما يجعله عدماً أو صورةً ليس لها وجودٌ إلاّ في الذهن (ابن تيمية ،دت: ٧)

تحليل وتقييم

فنحن المسلمون لنا كتابٌ مُنزل ورسول مبين ومبلغ إلي الأمة ونعرف أن الإله موجود خالق العالم السموات والأرض وتصرفاته وفرض علينا الأحكام والعبادات له وحده لا شريك له مخلصا له الدين وله الأسماء الحسنى والصفات الكمالية فيثبتها في كتابه والرسول له في حديثه ، أما نحن فنثبت هذه الأسماء وهذه الصفات كلها لله سبحانه وتعالي

علي مايليق به تعالي من غير مماثلة المخلوق ومن غير تأويل ومن غير تعطيل ومن غير تشبيه ونفوض حقيقة كنه الصفات إلي الله تعالي والله تعالي أعلم .

٣،٤ ابن تيمية مع الشيعة

٣،٤،١ الشيعة الإمامية

تعريف : يقول ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ : فلان من شيعة فلان أي : ممن يرى رأيه وشيعت الرجل على الأمر تشييعا إذا أعنته عليه ومشايعة الرجل على الأمر مشايعة وشياعا إذا مالأته عليه (ابن دريد ،دت: ٣ / ٦٣)

ويقول ابن منظور : وأصل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد ، وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى عليا وأهل بيته (رضوان الله عليهم أجمعين) حتى صار لهم اسما خاصا فإذا قيل فلان من الشيعة عرف إنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة قال الأزهري : والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي ﷺ ويواليهم (ابن منظور مادة شيع ،دت: ٧ / ٢٥٨)

فالشيعة والتشيع والمشايعة في اللغة تدور حول معنى المُتَابعة والمُنَاصرة والموافقة بالرأي والاجتماع على الأمر أو المُمَالأَة عليه (ناصر بن عبد الله الغفاري ١٩٩٣: ١/٦٧)

يقول الشهرستاني : الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل (عليهم الصلاة والسلام) إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة

وإرساله . . . (الشهرستاني ١٣٩٥: ١ / ١٤٦-١٤٧)

وقال ابن حزم الأندلسي : ومن وافق الشيعة في أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعيٌ وإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً (ابن حزم ،دت:٢ /١١٣)

الفِرَقُ الشيعية والاختلاف بينها : ومن يراجع كُتب الفِرَق يجد أن لقب " الشيعة " قد أطلق على عدد كبير من الفِرق المختلفة المشارب والمتعددة الاتجاهات وإنما استحقت هذا اللقب كما قال ابن حزم لإجماعها على القول بأفضلية علي ابن أبي طالب على سائر الصحابة بعد رسول الله ﷺ وأحقيته في الخلافة على أن أغلب هذه الفِرَق قد ارتبطت في بداية نشأتها بشخص صنعته الأحداث المتتالية التي عرفها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ ومن ثم نمت أفكاره وترعرعت وأصبح لها أتباع وتكونت لها مدرسة مستقلة كما حدث لباقي الفرق الإسلامية لذلك ظهر الاختلاف بين هذه الفرق وتوسعت شقته جعلت مؤرخي الفرق الكلامية والمذهبية يفردون لكل واحدة منها فصلا خاصا بها يعرضون فيه لآراء أصحابها ومذاهبهم الاعتقادية والسياسية ويعتبر هذا العمل في الحقيقة منهجا علميا كان من نتائجه أن عرفت عقائد الفرق وتميزت عن بعضها البعض وعرفت نقاط التقائها واختلافها كما فعلنا نحن فيما يخص بيان الفرق بين مفهومي " السلفية " و " أهل السنة " ... فإذا كان " التشيع " حب علي بن أبي طالب والقول بأفضليته بعد رسول الله ﷺ وأحقيته في الإمامة والخلافة فإن الادعاء بكونه ﷺ " إلهاً " أو حل فيه الله يخرج صاحبه عن هذا المفهوم الاصطلاحي للتشيع بل يخرجه عن الإسلام ويصبح كافرا بالرسالة المحمدية عموما .

٣،٤،٢ في مسألة إمامة علي ﷺ

وقد غلب إسم الشيعة على كل من يزعم أنه يتولى عليا ﷺ وأهل بيته حتى صار اسماً خاصاً لهم فإذا قيل : فلان من الشيعة عرف أنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا اي عندهم (إحسان إلهي ظهير ،دت: ١٨ – ١٩)

وقد بالغ القوم في مُوالاة علي وأولاده وحبهم ومدحهم مبالغة جاوزوا الحدود وأسّسوا عليها ديانتهم ومذهبهم حتى صار مذهباً مستقلاً وديناً منفصلا عن الدين الذى جاء به محمد ﷺ واخترعوا روايات كاذبة وأختلقوا آحاديث موضوعة وقالوا : لا دين إلاّ لموالي علي وآلَه واحترامهم لهم ومودتهم فيهم (إحسان إلهي ظهير ,دت: ٢٣)

حتى قالوا : ولما بعث الله محمدا ﷺ قام بثقل الرسالة ونص على أن الخليفة بعده علي ابن ابى طالب عليه السلام ثم من بعده ولده الحسن الزكى ثم الحسين الشهيد ثم علي بن الحسين زين العابدين ثم محمد بن علي الباقر ثم جعفر بن محمد الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي الجواد ثم علي بن محمد الهادى ثم الحسين بن علي العسكرى ثم الخلف الحجة محمد بن الحسن المهدى عليهم الصلاة والسلام وأن النبى ﷺ لم يمت إلا عن وصية بالإمامة (ابن تيمية ،دت: ٣٠)

وهذا لا يخفى ما فيه من المُجَازفة بالقول والغلو لأن معناه أن رسول الله ﷺلم يدع إلى الإسلام وإلى وحدانية الله والإقرار برسالته وطاعته بل كان يدعوا إلى التشيُع والتفرق والإشراك فى ذات الله وصفاته وإشراكه علياً وأولاده في النبوة والرسالة والإطاعة ثم يسردون لإثبات ذلك روايات كلها باطلة وموضوعة والرواة كلهم كذّابون (إحسان إلهي ظهير ،دت: ٢٠ – ٢٣)

عن أبى الصباح قال : أشهد أنى سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أشهد أن عليا إمام فرض الله طاعته وأن الحسن إمام فرض الله طاعته وأن الحسين إمام فرض الله طاعته وأن على ابن الحسين إمام فرض الله طاعته وأن محمد ابن على إمام فرض الله طاعته (محمد عبد الستار التونسوى ١٤٠٨ : ٢٨)

قال الرافضي من الشيعة : البرهان الذى يدل على إمامة على عليه السلام قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣]

روي أبو نعيم بإسناده إلى أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا الناس إلى غدير ضخم وأمرنا بحت الشجرة من الشوك فقام فدعا عليا فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى إبطى رسول الله ﷺ ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية فقال رسول الله ﷺ

الله أكبر علي إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وبالولاية لعلى من بعدى ثم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه أللّهم وَالِ من والاه وعَادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله (إحسان إلهي ظهير ،دت: ٢٠ – ٢٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على هذا الإفتراء : إن هذه الآية ليس فيها دلالة على علي ولا إمامته بوجه من الوجوه بل فيها أخبار الله بإكمال الدين وإتمام النعمة على المؤمنين ورضا الإسلام دينا فدعوى المدعى أن القرآن يدل على إمامة على من هذا الوجه كذب ظاهر وإن قال الحديث يدل على ذلك فيقال الحديث إن كان صحيحا فتكون الحجة من الحديث لا من الآية وإن لم يكن صحيحا فلا حجة في هذا ولا في هذا فعلى التقديرين لا دلالة في الآية على ذلك ، وهذا مما يُبين به كذب الحديث فإن نزول الآية لهذا السبب وليس فيها ما يدل عليه أصلا تناقض (ابن تيمية ،دت: ٤ / ١٥ – ١٦)

ذهب بعض أهل السنة إلى القول بالنصية على خلافة أبي بكر وأن النبي ﷺ قد عهد إليه وهم على قولين : من قال بالنص الخفي ومن قال بالنص الجلي .

الأول : من قال بالنص الخفي والإشارة على أبي بكر وينسب هذا القول إلى الحسن البصري [1] (رحمه الله) وجماعة من أهل الحديث (ابن أبي العز الحنفي ،دت:/ ٤٧١)

واستدلوا على دلك بعدة أدلة منها :

أ- بتقديم النبي ﷺ له في الصلاة قال رسول الله ﷺ حين اشتد مرضه : ((مُروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة : إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال : مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف فأتاه الرسول ﷺ فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ (رواه البخاري في كتاب الأذان رقم ٤٦)

ب- بما ورد في الصحيحين أنه ﷺ لما خطب قرب وفاته وقال : ((إن عبدا

---

(١) البصري : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وفي آخرها الراء ونسبة هذا الإمام إلى البصرة لشهرتها ويقال للبصرة أيضا قبة الإسلام وخزانة العرب وإنما بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (السمعاني ١٤٠٨ : ١ / ٣٦٣)

خيره الله ... وفي آخره ((ولايبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر))
(رواه البخاري في المناقب رقم : ٤٥)

قال الإمام السيوطي (رحمه الله) : قال العلماء : هذا إشارة إلى الخلافة
(الإمام السيوطي ،دت: ٦١)

الثاني : من قال بالنص الجلي على خلافة أبي بكر وهذا قول جماعة أهل الحديث وإليه ذهب ابن حزم (ابن حزم ،دت:٤ / ١٠٨)

واستدلوا على ذلك بما يلي :

أ- بما أخرجه الحاكم وصححه عن أنس بن مالك قال : ((بعثني بنوا المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك ؟ فأتيته فسألته فقال : ﷺ إلى أبي بكر وعمر)) (رواه الحاكم ٣ / ٧٧)

ب- وبما رواه حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((اقتدوا باللّذَين من بعدي أبي بكر وعمر)) إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة المشيرة إلى خلافته ﷺ
(عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي ١٤٠٧ : ١٣٠-١٣١)

وأضاف ابن تيمية (رحمه الله) على هذه المسألة حيث قال : التحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهدا ثم عل أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ... فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله ﷺ بيانا قاطعا للعذر لكن لمّا دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود ... فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله ﷺ له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارا استندوا فيه إلى ما عملوه من تفضيل الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختاروها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ يكون طريق ثبوتها العهد وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من

الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج إلى عهد خاص (ابن تيمية ،دت:١ / ١٣٩)

تحليل وتقييم

بعد أن سردنا معتقدات الشيعة الإمامية أن الأئمة لم يعرفوا بالوصف بل عينوا بالشخص فعين الإمام على ﷺ من النبى ﷺ وهو يعين من بعده بوصية من النبى ﷺ ويسمون بالأوصياء فقد أجمع الإمامية على أن إمامة على ﷺ قد ثبتت بالنص عليه بالذات من النبى ﷺ نصا ظاهرا ويقينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل بإشارة بالعين كما ذكرنا وهكذا يستدلون على تعيين على بالذات بأخبار إعتقدوا صحتها وبأعمال قد اعتقدوا أنها فى معنى النص على إمامته ﷺ وخالفهم الجمهور في صحة الأخبار كما قد خالفوهم فى صحة استنباطهم من الوقائع المجمع عليها وكما اتفق الإمامية فيما بينهم على أن عليا وصى النبى ﷺ وبالنص قرروا أن الأوصياء من بعد على هم أولاده من فاطمة وهذا الكلام الذى اشتمل على دعاوى واسعة كبيرة لشخص الإمام لم يقم دليل على صحته والدليل قائم على بطلانه لأن محمدا أتم بيان الشريعة فقد قال تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]

ولو كان قد أخفى شيئا فما بلغ رسالة ربه وذلك مستحيل لأنه لا عصمة إلاّ لنبى و لم يقم دليل على عصمة غير الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) والجمهور يرى أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ هو ابو بكر الصديق ﷺ بعد أن إفترقت الأمة إلى ثلاث فرق : فرقة دعوا إلى عقد الأمر لعلي بن إبى طالب ﷺ سميت هذه الفرقة فرقة الشيعة أي شيعة علي ﷺ ، وفرقة دعوا إلى عقد الأمر لسعد ابن عبادة الخزرجى ﷺ وهذه هي فرقة الأنصار ، وفرقة دعوا إلى عقد الأمر لإبى بكر الصديق بن أبى قحافة ﷺ وآخر الأمر صار مع أبى بكر السواد الأعظم والجمهور الأكثر وقد ثبت في الصحيحين عن جبير بن مطعم أن إمرأة سألت النبي ﷺ شيئا فأمرها أن ترجع إليه فقالت : يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك (كأنها تعنى الموت) قال : فإن لم تجدينى فأتى أبا بكر فعلم من هذا الحديث أن أبا بكر الصديق أحق بالولاية وفي بيان الأحكام بعد موت

رسول الله ﷺ وأيضا فأمر النبي ﷺ أبا بكر بالصلاة بالناس إذا غاب كما روى عن سهل بن سعد إن النبى ﷺ ذهب إلى بنى عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت وقت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبى بكر الصديق فقال : أتصلى بالناس قال نعم فأقيم فصلى ابو بكر فجاء النبى ﷺ والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس وكان أبو بكر لايلتفت في الصلاة فلما أكثر الناس من التصفيق إلتفت فرأى رسول الله ﷺ فأشار إليه رسول الله أن امكث في مكانك فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف وتقدم النبي ﷺ فصلى بهم ، والذى نستدل به هنا أن النبي ﷺ أشار إلى ابي بكر أن يمكث في مكانه ولكن ابا بكر لم يؤم ورسول الله خلفه ورضى النبي لأبى بكر الصديق لإمر الدين ورضيناه لأمر دنيانا أيضا والله أعلم (عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ١٤٠٧: ١٣٣)

٣،٤،٣ منزلة الامام عند الإمامية

يَقِرُ الإمامية – بالنسبة لسلطان الإمام في التشريع – أن الإمام له السلطان الكامل في التَقنين وكل ما يقوله من الشرع ولا يمكن أن يكون منه ما يخالف الشرع يقول الشيخ محمد أبو زهرة : يعتقد الإمامية أن لله في كل واقعة حكما وما من عمل من أعمال المكلفين إلاّ ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة – الوجوب والحرمة والكراهة والندب والإباحة – وقد أودع الله سبحانه تعالى جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء وعرفها النبي بالوحي من الله أى بالإلهام وبيّن كثيرا منها وبالأخص لأصحابه الحافين به الطائفين كل يوم بعرش حضروه ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق وأضاف الشيخ محمد أبو زهرة على هذا الكلام الذى أورده من كلام الشيعة الإمامية بقوله : ويستفاد من هذا الكلام ومن غيره أمور ثلاثة :

أولها : أن الائمة وهم الأوصياء استودعهم النبي ﷺ أسرار الشريعة وأن النبي ﷺ ما بيّنها كلها بل بيّن بعضها فبيّن ما اقتضاه زمانه وترك للأوصياء أن يبينوا للناس ما تقتضيه الأزمنة من بعده وذلك بأمانة أودعها إياهم .

ثانيها : أن ما يقوله الأوصياء شرعٌ إسلامي لأنه تتميم للرسالة فكلامهم في الدين شرع وهو بمنزلة كلام النبي ﷺ لأنه من الوديعة التي أودعهم إياها فعنه صدروا وبما خصهم به نطقوا .

ثالثها : أن للأئمة أن يخصصوا النصوص العامة ويقيدوا النصوص المطلقة (أبو زهرة ،دت:٢١ / ٥١)

وإذا كان الإمام له هذه المنزلة بالنسبة للتقنين فقد قرّرُوا أنه يكون معصوما عن الخطأ والنسيان والمعاصي فهو طاهرٌ مُطّهرٌ لا تعلق به ريبة ويقرِرُون عصمته ظاهرة وباطنة وأنها قبل أن يكون إماما وبعد توليه الإمامة و يجوز أن تجري خوارق العادة على يد الإمام لتثبت إمامته ويسمون الخارق للعادة الذي يجري على يديه معجزة كما يسمى الخارق الذي يجري على يدى أنبياء الله تعالى معجزة (أبو زهرة ،دت: ١ / ٥٢)

وأن الإمام ليس وجوده ضروريا فقط لبيان الشريعة وتتميم ما بدأ الرسول ببيانه بل هو أيضا ضروري لحفظ الشريعة وصيانتها من الضياع فهو يتمها ويحميها وهو القوام على الشريعة بعد النبي ﷺ يحافظ عليها ويصونها ويمنع عنها التحريف والزيغ والضلال وأن تتحّكم عليه الآراء المردية إذ هو حجة الله القائمة إلى يوم القيامة والوصي عندهم هو القائم بحجة الله وأنه بعصمته التي توجب طاعته والاقتداء به يكون الدين محفوظا الى يوم القيامة وعدم اجتماع الأمة على الضلالة هو الذي يجعل الدين محفوظا إلى يوم القيامة ويقولون أنه من الجواز العقلي يجوز أن تجتمع الأمة على الضلال ولكن المعصوم وهو الإمام الوصى عندهم وهو الذي يرشدها ويهديها ويقيها من أن تجتمع على الضلالة فأهل الأديان الأخرى قد اجتمعوا على ضلالة لعدم وجود المعصوم عندهم ولأن شريعتهم ليست خاتم الشرائع أما شريعة محمد فهي خاتم الشرائع ولابد من وجود المعصوم ليحميها ويقيها من الضلالة إلى يوم القيامة (الشريف المرتضى ،دت:٤٠)

يقول ابن تيمية (رحمه الله) في صدد ردّه على مزاعم الشيعة الإمامية : قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام ، وعلّل ابن تيمية على ذلك بقوله : ولهذا كان عمر بن الخطاب وقّافاً عند كتاب

الله وكان أبو بكر الصديق يُبَيِّنُ أشياء تخالف ما يقع له كما بَيّن له يوم الحُدَيبية [1] ويوم موت النبي ﷺ ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك التي تدل على طبيعة الشورى في الإسلام ، وأضاف ابن تيمية : وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة فتارة يرجع إليهم وتارة يرجعون إليه وربما قال القول وترد عليه إمرأة من المسلمين قوله وتبيّن له الحق فيرجع إليها ويدع قوله كما قدر الصداق وربما يرى رأيا فيذكر له حديث عن النبى ﷺ فيعمل به ويدع رأيه وكان يأخذ بعض السنة عمن هو دونه في قضايا متعددة وكان يقول القول فيقال له : أصبت فيقول : ما يدري عمر أصاب الحق أم أخطأه وقال ابن تيمية : فإذا كان هذا إمام المحدثين فكل ذي قلب يحدثه عن ربه إلى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم وإن كان طائفة تدعي أن الرلي محفوظ وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة ... فهذا باطل مخالف للسنة والإجماع (ابن تيمية ١٤٠٣ : ٤ / ٧٠-٧١)

٣،٤،٤ في مسألة أصول الدين عند الإمامية

فالإمامية يُدخِلون في التوحيد نفي الصفات ويقولون بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة ويدخلون في العدل التكذيب بالقدرة (ابن تيمية ,دت: ١ /٢٣)

وأن الله لايقدر أن يهدي ضالا ولا يقدر أن يضلّ مهتديا (ابن تيمية ،دت: ٥ / ٢٩٣)

وأنه قد يشاء ما لايكون ويكون ما لايشاء وغير ذلك فلا يقولون أنه خالق كل شيئ ولا أنه على كل شيء قدير ولا أن ما شاء الله كان ومالم يشاء لم يكن (ابن تيمية ،دت: ٥ / ٢٩٣)

وأن الله لا يخلق شيئا من أفعال الحيوان لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم بل هذه الحوادث تحدث بغير قدرته ولا خلقه ولا يحتاج أحد من الخلق إلى أن يهديه الله بل

---

(١) الحديبية : بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وياء موحدة مكسورة وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك وقيل : بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع التي بايع النبي تحتها (معجم البلدان،دت :٢ / ٢٢٩)

يهتدى بنفسه لا بمعونة الله له ويضل بنفسه لا بإضلال الله له ، وأضاف الإمامية أيضا بقولهم : أن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب وأن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة وأنه لا يفعل الظلم ولا العبث وأنه رؤف رحيم بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأنفع وأنه تعالى كلفهم تخييرا لا إجبارا ووعدهم الثواب وتوعدهم العقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي وإلاّ لم يبق وثوق بأقوالهم وأفعالهم فتنتفي فائدة البعثة (ابن القيم ١٤٠٧ : ٢٢٢)

وقال ابن تيمية (رحمه الله) إن الإمامية يعتقدون بأن الإمام أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان ، وأضاف بعد أن اورد هذا الكلام حيث قال : من جعل هذا من الإيمان إلا أهل الجهل والبهتان وزاد ابن تيمية على رده بقوله : والنبي ﷺ قد فسر الإيمان وذكر شعبه و لم يذكر الله ولا رسوله ﷺ الإمامة في أركان الإيمان (ابن تيمية ، دت: ٥ / ٢٩٣)

هذه من جملة معتقداتهم التي تُخالف تماما ما عليه أهل السنة والجماعة .